

شرح حكم نهج البلاغة

العلامة المحقق
الشيخ عباس القمي

دار الأنصار
ايران - قم

شرح

حكم نهج البلاغة

للمحدّث المؤرّخ الشيخ عباس القمّي رحمه الله

(المتوفى سنة ١٣٥٩هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على

سيد المرسلين محمد وآله الطيّبين الطاهرين

واللعنة على أعدائهم أجمعين

إلىٰ يوم الدين

حرف الألف

١ ـ أَزْرىٰ بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُـرَّهُ [عـن ضرّه]، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيهَا لِسَانَهُ.(١)

هذه ثلاثة فصول: الأوّل: في الطمع.

«أزرىٰ بنفسه» أي: حقّرها وقصّر بها. «استشعر الطمع» أي: جـعله شعاره أي: لازمه.

وفي الحديث: الطمع الفقر الحاضر(٢).

وكان يقال: أكثر مصارع الألباب تحت ظلال الطمع(٣).

الثاني: في الشكوىٰ.

«من كشف ضرّه» أي: شكىٰ إلى الناس بؤسه وفقره. وفي مـعناه: لا تشكونّ إلى أحدٍ فإنّه إن كان عدوّاً سرّه، وإن كان صديقاً سـاءه، وليست مسرّة العدوّ ولا مساءة الصديق بمحمودة(٤).

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٨٥.

(٣) نفس المصدر ١٨ / ٨٤. وفي نهج البلاغة، الحكمة (٢١٩) وردت فيه أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٨٥.

الثالث: في حفظ اللسان،[١] وقد ورد فيه ما لا يحصىٰ منها: سلامة الإنسان في حفظ اللسان، ومنها: ربّ كلمة سفكت دماً، وأورثت ندماً[٢].

قال الشاعر:

يـمـوتُ الفــتى مــن عــثْرةٍ بــلسانه
وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِجْـل[٣]

٢ ـ اعْجَبُوا لِهٰذَا الإنْسانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ [في ـ خ ل] خَرْمٍ[٤].

قال ابن أبي الحديد: هذا كلام محمول بعضه على ظاهره، لما تدعو إليه الضرورة من مخاطبة العامّة بما يفهمونه، والعدول عمّا لا تقبله عقولهم، ولا تفي به[٥]. انتهىٰ[٦].

والخرم ـ بضمّ الخاء المعجمة ـ: الثقب،[٧] وهنا ثقب الأنف.

نبّه عليه‌السلام على لطف خلق الإنسان ببعض أسرار حكم الله فيه، وغايته من ذلك الاستدلال على حكمة صانعه ومبدعه، وذكر أربعة من محالّ النظر والاعتبار؛ وهي: آلة البصر والكلام والسمع والتنفّس. وراعى في القرائن الأربع السجع المتوازي.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٨٥.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٥٨.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٥٨.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٨.
(٥) في المصدر: ولا تعيه قلوبهم.
(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٠٣.
(٧) المصباح المنير ١ / ٢٠٤ ـ خرم.

٣ ـ إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيا عَلَى أحدٍ [قوم ـ خ ل] أَعَارَتْهُ [أعارتهم] مَحَاسِنَ غَيْرِهِ [غيرهم]، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ [عنهم] سَلَبَتْهُ [سلبتهم] مَحَاسِنَ نَفْسِهِ [أنفسهم](١).

كان الرشيد أيّام كان حسن الرأي في جعفر بن يحيى، يحلف بالله أنّ جعفراً أفصح من قُسِّ بن ساعدة، وأشجع من عامر بن الطفيل، وأكتب من عبد الحميد بن يحيى، وأسوس من عمر بن الخطّاب، وأحسن من مُصعب ابن الزبير، مع أنّ جعفراً ليس بحسن الصورة، وكان طويل الوجه جدّاً، وأنصح له من الحجّاج لعبد الملك، وأسمح من عبدالله بن جعفر، وأعفّ من يوسف بن يعقوب ؛ فلمّا تغيّر رأيه فيه أنكر محاسنه الحقيقيّة الّتي لا يختلف اثنان أنّها فيه، نحو كياسته وسماحته. ولم يكن أحد يجسر أن يردّ على جعفر قولاً ولا رأياً(٢).

٤ ـ إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فاجْعَلِ اَلْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدرَةِ عَلَيْهِ(٣).

روي أنّ مُصعب بن الزبير لمّا ولّي العراق عرض الناس ليدفع إليهم أرزاقهم، فنادى مناديه: أين عمرو بن جُرموز ـ وهو الّذي قتل أباه الزبير ـ ؟ فقيل له: أيّها الأمير، إنّه أبعد في الأرض ؛ قال: أَوَظنّ الأحمق أنّي أقتله بأبي عبدالله! قولوا له: فليظهر آمنا، وليأخذ عطاه مسلّما(٤).

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٩.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٠٥.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١١.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١١٠.

٥ ـ أَعْجَزُ النّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ[١].

روي أنّ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ بكى لمّا قتل جعفر بمؤتة، وقال: المرء كثير بأخيه[٢].

وكان أبو أيّوب السجستانيّ[٣] يقول: إذا بلغني موت أخ كان لي، فكأنما سقط عضو منّي[٤]. قال الشاعر:

أخاك أخاك [إنّ] مَن لا أخاً لَهُ
كساعٍ الهيجا بغيرِ سلاحِ

وَ إنّ ابن عمّ المرء فاعلمْ جناحُهُ
وهل ينهض البازي بغير جناحِ[٥]

٦ ـ إذَا وَصَلَتْ إلَيْكُمْ أَطْرافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصاهَا بِقِلَّةِ الشُكْرِ[٦].

استعار لفظ التنفير لشبهها بالطير المتّصل إذا سقط أوّله اتّصل به آخره إن لم ينفّر. وفيه إيماء إلى أنّ دوام الشكر مستلزم لدوامها وكثرتها كقوله تعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٧].[٨]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٢.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١١٢.
(٣) في المصدر السختيانيّ.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١١٢ ـ ١١٣.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١١٢ ـ ١١٣.
(٦) نهج البلاغة، الحكمة ١٣.
(٧) سوره إبراهيم (١٤) / ٧.
(٨) شرح ابن ميثم ٥ / ٢٤٦.

٧ـ أَقِيلُوا ذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عاثِرٌ إِلاَّ وَيَدُ ٱللهِ [ويده بيد الله ـ خ ل] تَرْفَعُهُ [يرفعه][١].

قيل في المروءة: اللذة ترك المروءة، والمروءة ترك اللذة[٢].

وقال معاوية لعمرو: ما ألذّ الأشياء؟ قال: مُرْ فِتيانَ قريش أن يقوموا؛ فلمّا قاموا قال: اسقاط المروءة[٣].

قال ابن أبي الحديد: لامَ معاويةُ يزيدَ على سماع الغِناء وحبّ الفتيان، وقال له: أسقطت مروءتك، فقال يزيد: أتكلّم بلساني كلمةً! قال: نعم، وبلسان أبي سفيان بن حرب وهند بنت عُتْبة مع لسانك، قال: والله لقد حدّثني عمرو بن العاص ـ واستشهد على ذلك ابنه عبدالله بصدقه ـ أنّ أباسفيان كان يخلع على المغنّي الفاضل والمضاعف من ثيابه، ولقد حدّثني أنّ جاريتي عبدالله بن جُدْعان غنّتاه يوماً فأطربتاه، فجعل يخلع عليهما أثوابه ثوباً ثوباً حتّى تجرَّد العَيْر، ولقد كان هو وعفّان ابن أبي العاص ربّما حملا جارية العاص بن وائل على أعناقهما، فمرّا بها على الأبطح وجلّة قريش ينظرون إليهما؛ مرّةً على ظهر أبيك، ومرّة على ظهر عفّان، فما الّذي تنكر منّي؟ فقال معاوية: اسكت لحاك الله! والله ما أحدٌ ألحق بأبيك هذا إلاّ ليغرّك ويفضحك، وإن كان أبو سفيان ـ ما علمت ـ لثقيل الحِلم، يقظان الرأي، عازب الهوى، طويل الأناة، بعيد القعر، وما سوّدته قريشٌ إلاّ لفضله[٤].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٢٨.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٢٩.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٣٠.

٨ ـ امْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ[١].

يقول: مهما وجدت سبيلاً إلى الصبر على أمر من الأمور الّتي قد دفعت إليك وفيها مشقّة عليك، فاصبر ولا تتعاجز به، بل كن في صورة الأصحاء.

وقيل: «فيه إيماء إلى ما أمر به من كتمان المرض كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: من كنوز البرّ كتمان الصدقة والمرض والمصيبة»[٢].

٩ ـ أفْضَلُ الزُّهْدِ إخْفَاءُ الزُّهْدِ[٣].

إنّما كان كذلك لأنّ الجهر بالعبادة والزّهادة والإعلان بذلك قلّ أن يسلم من مخالطة الرياء.

لطيفة: رأى المنصور رجلاً واقفاً ببابه، فقال: مثل هذا الدرهمَ بين عينيك وأنت واقف ببابنا! فقال الربيع: نعم، لأنّه ضرب على غير السكّة[٤].

١٠ ـ إذَا كُنْتَ فِي إدْبَارٍ وَالمَوْتُ فِي إقْبالٍ، فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى![٥].

هذا ظاهر، لأنّ إدباره هو توجّهه إلى الموت، وإقبال الموت هو توجّه الموت نحوه، فقد حُقّ إذن الالتقاء سريعاً، ومثال ذلك سفينتان بدجلة أو غيرها، تصعد إحداهما، والأُخرىٰ تنحدر نحوها، فلا ريب أنّ الالتقاء يكون وشيكاً.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧.
(٢) شرح ابن ميثم ٥ / ٢٣٥.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨/ ١٣٩ .
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢٩.

١١ ـ أَشْرَفُ ٱلْغِنَى تَرْكُ ٱلْمُنَى[(١)].

المنى: جمع منيّة بمعنى التمنّي. وظاهر أنّ ترك المنى يستلزم القناعة واستلزامها للغنى النفسانيّ وعدم الحاجة ظاهر.

١٢ ـ احْذَرُوا صَوْلَةَ ٱلْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، واللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ[(٢)].

يراد بالكريم شريف النفس، ذو الهمّة العليّة؛ وبجوعه ضيمه، وامتهانه، وشدّة حاجته. وذلك مستلزم لثوران غضبه وحميّته عند عدم التفات الناس إليه، وشبع اللئيم كناية عن غناه وعدم حاجته. وذلك يستلزم تمرّده وأذيّته لمن كان تحت يده، ومن يحتاج إليه من الناس؛ فربما كان جوعه سبباً لتغيّر أخلاقه وتجويدها، ونحن شاهدنا ذلك كثيراً.

١٣ ـ أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ [عَلَى ٱلْعُقُوبَةِ][(٣)].

قالت الحكماء: ينبغي للإنسان إذا عاقب من يستحقّ العقوبة، أن لا يكون سبعاً في انتقامه، وأن لا يعاقب حتّى يزول سلطان غضبه، لئلاّ يقدم على ما لا يجوز؛ ولذلك جرت سنّة السلطان بحبس المجرم حتّى ينظر في جرمه، ويعيد النظر فيه[(٤)].

وقالوا أيضاً: لذّة العفو أطيب من لذّة التشفّي والإنتقام، لأنّ لذّة العفو يشفعها حميد العاقبة، ولذّة الانتقام يتّبعها ألم الندم. وقالوا: العقوبة ألأم حالات ذي القدرة وأدناها، وهي طرف من الجزع[(٥)].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤ و ٢١١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٥٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٨٣.

(٥) نفس المصدر السابق.

١٤ ـ إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا، وَٱلْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِئِ[١].

هذا الكلام أورده ابن أبي الحديد في الشرح ولم أجده في هذا المقام من النهج، وقال: اللفظة الأولى من القرآن[٢] العزيز، والثانية تتضمّن معنىً مشهوراً.

وقوله: «والفضل مع ذلك للبادئ»، يقال في الكرم والحثّ على فعل الخير.

ثمّ ذكر توسّل بعض الأشخاص برحم أو قرابة وإسداء معروف ونحو ذلك، فنالوا منهم بسببه مالاً جزيلاً[٣].

١٥ ـ أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ[٤].

قال ابن أبي الحديد في الشرح: هذا التشبيه واقع وهو صورة الحال لا محالة.

وقد أتيتُ بهذا المعنى في رسالة كتبتها إلى بعض الأصدقاء تعزيةً، فقلت: ولو تأمّل الناس أحوالهم، وتبيّنوا مآلهم، لعلموا أنّ المقيم منهم بوطنه، والساكن إلىٰ سكنه، أخو سفر يُسرى به وهو لا يَسري، وراكب بحر يُجرى به وهو لا يَدري[٥].

---

(١) هذا الكلام غير موجود في أكثر النسخ الخطيه ولكن ذكره الشيخ محمد عبده والدكتور صبحي صالح من نسخه شرح ابن أبي الحديد تحت رقم ٦٢ من الحكم.

(٢) وهو قوله تعالىٰ في سورة النساء (٤ / ٨٦) (وإذا حييتم بتحيّةٍ فحيوا بأحسن منها أو ردّوها).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٠١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٦٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ١٩٣.

١٦ ـ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلاَ تُبَلْ كَيْفَ [ما] كُنْتَ!(١).

كان أصل «لا تبل» لا تبال، فحذفت الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ومراده عليه السلام بهذا الكلام أي: إذا فاتك مرادك من الأمر فلا تبل بفوات ما أمّلته، ولا تحمل لذلك همّاً كيف كنت، وعلى أيّ حال كنت، من حَبْس أو مرض أو فقر أو فقد حبيب؛ وبالجملة، لا تبال بالدهر، ولا تكترث بما يعكس عليك من غرضك ويحرمك من أملك؛ وذلك لأنّ الأسف على فوات المراد يستلزم غمّاً وألماً وهو مضرّة عاجلة لا يثمر فائدة فارتكابه سفه، وهذا مثل قوله عليه السلام: «فلا تكثر على ما فاتك منها أسفاً»(٢) ومثل قوله تعالىٰ: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى ما فٰاتَكُمْ﴾(٣).

١٧ ـ إِذَا تَمَّ ٱلْعَقْلُ نقص ٱلْكَلاَمُ(٤).

تمام العقل يستلزم كمال قوّته على ضبط القوى البدنيّة وتصريفها بمقتضى الآراء المحمودة الصالحة، ووزن ما يبرز إلىٰ الوجود الخارجيّ عنها من الأقوال والأفعال بميزان الإعتبار، وفي ذلك من الكلفة والشرائط ما يستلزم نقصان الكلام، بخلاف ما لا يوزن ولا يعتبر من الأقوال.

قالوا: «إذا رأيتم الرجل يُطيل الصمت ويهرب من الناس، فاقربوا منه فإنّه يُلقّى الحكمة»(٥).

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٦٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢١٥.

(٣) سورة الحديد (٥٧) / ٢٣.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٧١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢١٧.

١٨ ـ إِنَّ ٱلامُورَ إِذَا ٱشْتَبَهَتْ ٱعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا[١].

روي: «إذا استبهمت»، والمعنى واحد وهو حقّ، وذلك أنّ المقدّمات تدلّ على النتائج، والأسباب تدلّ على المسبّبات، فإذا اشتبهت أمور على العاقل الفطن ولم يعلم إلىٰ ماذا تؤول، فإنّه يستدلّ على عواقبها بأوائلها، وعلى خواتمها بفواتحها[٢].

وإلى معنىٰ كلامه عليه السلام أُشير في هذا المثل بالفارسيّة: سالى كه نكوست از بهارش پيداست[٣].

١٩ ـ أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ ٱلإِبِلِ لَكَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلاً:

لاَ يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ،

وَلاَ يَخَافَنَّ إِلاّ ذَنْبَهُ،

ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لاَ يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لاَ أَعْلَمُ،

ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ [مِنْكُمْ] إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ،

وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ ٱلإِيمانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلاَ خَيْرَ في جَسَدٍ لاَ رَأْسَ مَعَهُ، وَلاَ خَيْرَ فِي إيمانٍ لاَ صَبْرَ مَعَهُ[٤].

كنّى عليه السلام بضرب آباط الإبل عن الرحلة في طلبها، وذلك أنّ الراكب للجمل يضرب إبطي راحلته برجليه ليحثّها على السير.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٧٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ١٩١.

(٣) ونظيره في العربية قولهم: من الأوّل حسن الآخر. ويكفيك مما لاترى ما قدترى (أمثال وحكم دهخدا، ج ٢، ص ٩٤٠).

(٤) نهج البلاغة، الحكمة، ٨٢.

فأحد الخمس: الرجاء لله دون غيره، ومن لوازم ذلك إخلاص العمل له، ودوام طاعته.

الثانية: أن يخاف ذنبه دون غيره، وذلك لأنّ أعظم ما يخافه الإنسان هو عقاب الله، ولمّا كان إنّما يلحق العبد بواسطة ذنبه فبالأولى أن يجعل الخوف من الذنب دون غيره.

الثالثة: عدم استحياء من لا يعلم الشيء من قول: «لا أعلم»، فإنّ الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول [العمل] بغير علم وهو ضلال وجهل يستلزم إضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الآخرة. قال ﷺ: من أفتى بغير علم لعنتْه ملائكة السماء والأرض(١).

الرابعة: عدم استحياء من لا يعلم الشيء من تعلّمه، وإلاّ لبقي على جهله ونقصانه.

قالوا: من استحيا من المسألة لم يستحي الجهل منه.

وكان يقال: يحسن بالإنسان التعلّم مادام يقبح منه الجهل، وكما يقبح منه الجهل مادام حيّاً كذلك يحسنُ به التعلّم مادام حيّاً(٢).

الخامسة: فضيلة الصبر والأمر باقتنائها؛ لأنّ كلّ الفضائل لا تخلو منه، وأقلّ ذلك الصبر على اكتسابها ثمّ على البقاء عليها، ولذلك شبّهه من الإيمان بالرأس من الجسد؛ وذلك لأنّ الصبر لمّا كان موجوداً في كلّ الفضائل الّتي مجموعها هو الإيمان فلا يقوم إلاّ به أشبه الرأس من الجسد في عدم قيامه بدونه، ثمّ أكّد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله: لا خير في جسد.. إلىٰ آخره.

---

(١) شرح ابن ميثم، ٥ / ٣٨٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢٣٢.

٢٠ ـ أَوْضَعُ ٱلْعِلْمِ مَا وُقِفَ على اللِّسَانِ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْجَوارِحِ وَٱلْأَرْكَانِ(١).

هذا حقّ، لأنّ العالم إذا لم يظهر من علمه إلاّ لقلقة لسانه من غير أن يظهر منه العمل، كان عالماً ناقصاً؛ وأمّا إذا شاهده الناس عاملاً بعلمه، فإنّ النفع يكون به عامّاً تامّاً، وذلك لأنّ الناس يقولون: لو لم يكن يعتقد حقيقة ما يقوله، لما أدأب نفسه.

وأمّا الأوّل فيقولون فيه: كلّ ما يقوله نفاق وباطل، لأنّه لو كان يعمل حقيقة ما يقول لأخذ به، ولظهر ذلك في حركاته، فيقتدون بفعله لا بقوله.

٢١ ـ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ [الحكمة ـ خ ل](٢).

النفوس قد يقع لها انصراف عن العلم الواحد وملال للنظر فيه بسبب مشابهة بعض أجزائه لبعض، فإذا اطلعت النفس علىٰ بعضه قاست ما لم تعلم منه على ما علمت، ولم يكن الباقي عندها من الغريب لتلتذّ به وتدوم النظر فيه،(٣) أو المراد: أنّ القلوب تملّ من الأنظار العقليّة، في البراهين الكلاميّة على التوحيد والعدل، فعند ذلك: فابتغوا لها طرائف الحكمة، أي: الأمثال الحكميّة الراجعة إلىٰ الحكمة العملية، مثل: مدح الصبر، والشجاعة، والزهد، والعفّة، وذمّ الغضب، والشهوة، والهوى، وما يرجع إلىٰ سياسة الإنسان نفسه، وولده، ومنزله، وصديقه، ونحو ذلك.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٩١.

(٣) شرح ابن ميثم، ج ٥، ص ٢٦٧.

٢٢ ـ إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاؤُوا بِهِ، ثُمَّ تَلاَ عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ...﴾[(١)] الآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ ٱللهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى ٱللهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ[(٢)].

قال ابن أبي الحديد: هكذا الرواية، والصحيح «أعملهم» لأنّ استدلاله بالآية يقتضي ذلك، وكذا قوله فيما بعد: «انّ وليّ محمّد من أطاع الله...» إلىٰ آخر الفصل، فلم يذكر العلم، وإنّما ذكر العمل.

واللحمة ـ بالضمّ ـ: النسب والقرابة، وهذا مثل الحديث المرفوع: «ائتوني بأعمالكم، ولا تأتوني بأنسابكم، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم»[(٣)].

وقال ابن ميثم: ولمّا كان الغرض من الأنبياء جذب الخلق إلىٰ الله بطاعته، فكلّ من كان أبلغ في الطاعة كان أشدّ موافقة لهم، وأقرب إلىٰ قلوبهم، وأقوى نسبةً إليهم؛ ولمّا لم يكن طاعتهم إلاّ بالعلم بما جاؤوا به، كان أعلم الناس بذلك أقربهم إليهم، وأولاهم به، وبرهان ذلك الآية المذكورة.[(٤)] انتهىٰ.

٢٢ ـ اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ[(٥)].

نهاهم عليه السلام أن يقتصروا إذا سمعوا منه أو من غيره أطرافاً من العلم والحكمة، على أن يرووا ذلك رواية، كما يقرأ أكثر الناس القرآن دراسة

---

(١) سورة آل عمران، (٣) / ٦٨.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٩٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢٥٢ .

(٤) شرح ابن ميثم، ج ٥، ص ٢٦٩.

(٥) نهج البلاغه، الحكمة ٩٨.

ولا يدري من معانيه إلاّ اليسير.

وأمرهم أن يعقلوا ما يسمعونه عقل رعاية أي معرفة وفهم.

ثمّ قال لهم: «إنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل»، أي من يراعيه ويتدبّره(١).

٢٤ ـ إِنَّ الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ ٱلْآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا؛ كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ ٱلْآخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ(٢).

هذا الكلام لا يحتاج إلىٰ بيان، لأنّ عمل كلّ واحدة من الدّارين مضادّ لعمل الأخرىٰ.

٢٥ ـ إِنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عليكم فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لكم حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا(٣).

فرائض الله: واجبات دينه. وحدوده: نهايات ما أباحه من نعمة ورخّص فيه(٤).

وانتهاك الحرمة تناولها بما لا يحلّ:(٥) إمّا بارتكاب ما نهى عنه أو بالإخلال بما أمر به.

وقوله عليه السلام: «فلا تتكلّفوها» أي بالسؤال، والبحث عنه، ونحو ذلك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٥٦.

(٢) نهج البلاغه، الحكمة ١٠٣.

(٣) نهج البلاغه، الحكمة ١٠٥.

(٤) شرح ابن ميثم، ج ٥، ص ٢٧٤.

(٥) مجمع البحرين، ج ٥، ص ٢٩٦، مادة نهك.

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَلَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[١].

وجاء في الأثر: أبهموا ما أبهم الله.

وحكي عن بعض الصالحين أنّه قال لبعض الفقهاء: لِمَ تفرض مسائل لَمْ تقع وأتعبت فيها فكرك! حسبك بالمتداول بين الناس. وقال شريك في أبي حنيفة: أجهل الناس بما كان، وأعلمهم بما لم يكن.

٢٦ ـ إِذَا ٱسْتَوْلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ، ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ حَوْبَةٌ [خزية] فَقَدْ ظَلَمَ، وَإِذَا ٱسْتَوْلَى ٱلْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ، فَقَدْ غَرَّرَ[٢].

«يريد أنّه يتعيّن على العاقل سوء الظنّ حيث الزمان فاسد، ولا ينبغي له سوء الظنّ حيث الزمان صالح. وقد جاء في الخبر: النهي عن أن يظنّ المسلم بالمسلم ظنّ السوء، وذلك محمول على المسلم الذي لم تظهر منه حوبة، كما أشار إليه عليه السلام والحوبة: معصية»[٣].

وفي بعض النسخ: الخزية، وهي: الفضحية، «والخبر هو ما رواه جابر، قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ الكعبة، فقال: مرحباً بك من بيت! ما أعظمك وأعظم حرمتك! والله إنّ المؤمن أعظم حرمةً منك عند الله عزّوجل، لأنّ الله حرّم منك واحدةً، ومن المؤمن ثلاثة: دمه وماله وأن يظنّ به ظنّ السوء».

قيل لصوفيّ: ما صناعتك؟ قال: حسن الظنّ بالله، وسوء الظنّ بالناس.

---

(١) سورة المائدة، (٥) / ١٠١.

(٢) نهج البلاغه، الحكمة ١١٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢٧٨.

وكان يقال: ما أحسن حسن الظنّ إلاّ أنّ فيه العجز، وما أقبح سوء الظنّ إلاّ أنّ فيه الحزم» (١).

قال الطغرائي:

«وحسن ظنّك بالأيّام مَعْجزة»(٢).

٢٧ ـ إِضَاعَةُ ٱلْفُرْصَةِ غُصَّةٌ(٣).

أي: إنّ تضييع الأمر وقت إمكانه من نفسه يستلزم الغصّة، والأسف، والحزن على تفويته.

وفي المثل: انتهزوا الفرص، فإنّها تمرّ مرّ السحاب(٤).

٢٨ ـ إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي في كُلّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ(٥).

اللامات الثلاثة تسمّى لام العاقبة، مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحزَناً﴾(٦).

فإنّهم ما التقطوه لهذه العلّة، بل للتبنّي، لكن كان عاقبة التقاطهم إيّاه العداوة والحزن، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنّ وَالْإِنسِ﴾(٧).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢٧٩.

(٢) من قصيدته اللاميّة المعروفة بلاميّة الحجم، معجم الادباء، لياقوت، ج ١٠، ص ٦٧.

(٣) نهج البلاغه، الحكمة ١١٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٨٣.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٢.

(٦) سورة القصص، (٢٨) / ٨.

(٧) سورة الأعراف، (٧) / ١٧٩.

وبالجملة، خلاصة كلامه عليه السلام التنبيه على أنّ الدنيا دار فناء وعطب، لا دار بقاء وسلامة، وأنّ الولد يموت، والدور تخرّب، وما يجمع من الأموال يفنى. وقد نظم الشاعر بقوله:

له ملك يُنادي كلّ يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

٢٩ ـ اَسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ[١].

لا ريب انّ التصدّق على الغير يستلزم تأليف قلبه واجتماع همّه على دعاء الله لصلاح المتصدّق وهو سبب لاستنزال الرزق مع انّ لكلّ نفس رزق مقدّر، فإذا صرت سبب الوصول تستنزل رزقه عليك، ولهذا ورد: «من وَسَّع وُسّع عليه، وكلّما كثر العيال كثر الرزق»[٢].

وبهذا المعنى أشار عليه السلام بقوله بعد هذا الكلام: «تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمَؤُونَةِ»[٣].

٣٠ ـ اَعْتَصِمُوا [استعصموا ـ خ ل] بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا[٤].

الذمم: العهود والعقود والأيمان، وفي أوتادها، أي: في مركزها ومظانّها، أي: لا تستندوا إلىٰ ذمام الكافرين والمارقين، فإنّهم ليسوا أهلاً للاستعصام بذممهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لاَ يَرْقُبُون في مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلاَ ذِمَّةً﴾[٥].

وقال: ﴿إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾[٦].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٧.
(٢) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٣٣٧.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٩.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٥.
(٥) سورة التوبة (٩) ١٠.
(٦) سورة التوبة (٩) ١٢.

وهذه كلمة قالها بعد انقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطُّلقاء بين يديه ليبايعوه، منهم مروان بن الحكم[١].

٣١ ـ ٱلإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ ٱلازْدِيَاد[٢].

إعجاب المرء بفضيلته الداخلة كعلمه، أو الخارجة كغناه إنّما يكون عن تصوّر كماله فيها واعتقاده أنّه قد بلغ منها الغاية القصوىٰ، وهذا الاعتقاد يمنعه عن طلب الزيادة منها، وإنّما يطلب الزيادة من يستشعر التقصير لا من يتخيّل الكمال.

وورد في ذمّ العجب روايات كثيرة منها قوله عليه السلام: «ثلاث مُهلكات: شحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[٣].

٣٢ ـ ٱلأَمْرُ قَرِيبٌ، وَٱلاصْطِحَابُ قَلِيلٌ[٤].

هذه الكلمة تذكرّ بالموت وسرعة زوال الدّنيا، والمراد بالأمر: أمر الله. وهو الموت.

٣٣ ـ إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ[٥].

إنّ للنفوس فيما يتوقّع مكروهه انفعالاً كثيراً وفكراً عظيماً في كيفيّة دفعه، والخلاص منه، وذلك أصعب بكثير من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك وتأكّده بتوقّع الأمر المخوف.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٣٧٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٣٩٢.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٨.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٥.

٣٤ـ آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ[١].

الرئيس محتاج إلىٰ أمور: منها الجود، ومنها الشجاعة، ومنها ـ وهو الأهمّ ـ سعة الصدر، وهي فضيلة تحت الشجاعة، وهي أن لا يدع الإنسان قوّة التجلّد عند ورود الأحداث المهمّة، والخطوب العظيمة عليه، ولا يحار أو يدهش فيها بل يتحمّلها.

٣٥ـ ٱزْجُرِ ٱلْمُسِيءَ بِثَوَابِ ٱلْمُحْسِنِ[٢].

قال أبو العتاهية:

إذا جازيتَ بالإحسان قوماً زجرت المذنبين عن الذنوبِ
فمالك والتناول من بعيدٍ ويمكنك التناول من قريبِ[٣]

٣٦ـ ٱحْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ[٤].

هذا يفسّر على وجهين:

أحدهما: أن يريد: لا تضمر لأخيك سوءاً حتّى لا يضمر هو لك سوءاً، لأنّ القلوب يشعر بعضها ببعض، فإذا صفوت لواحد صفالك.

الثاني: أن يريد: لا تعظ الناس، ولا تنههم عن منكر إلاّ وأنت مقلع عنه.

٣٧ـ إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا، وَنَهْبٌ تُبادِرُهُ ٱلمَصَائِبُ؛

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٦.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٤١٠.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٨.

وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ. وَلاَ يَنَالُ ٱلْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلاَ يَسْتَقْبِلُ يَوماً مِنْ عُمُرِهِ إِلاّ بِفِرَاقِ آخَر مِنْ أَجَلِهِ؛ فَنَحْنُ أَعْوَانُ ٱلْمَنُونِ، وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ ٱلْحُتُوفِ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجوا ٱلْبَقَاءَ وَهذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً، إِلّاَ أَسْرَعَا ٱلْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا؟!(١)

هذا فصل لطيف من الموعظة مشتمل على ثمان كلمات.

الغرض: الهدف، تنتضل أي: ترتمي، والنهب بمعنى: المنهوب.

وقوله: «مع كلّ جرعة...»الى آخره: كناية عن تنغيص لذّات الدّنيا بما يشوبها ويخالطها من الأعراض والأمراض.

وأمّا قوله: «ولا ينال العبد نعمة إلاّ بفراق أخرىٰ» لأنّ النعمة الحقّة هي اللذّة، وظاهر أنّ النفس في الدنيا لا يمكن أن يحصل على لذّتين دفعة؛ مثلاً: الذي حصلت له لذّة الجماع حال ما هي حاصلة له، لا بدّ أن يكون مفارقاً لذّة الأكل والشرب، وكذلك العكس وهكذا.

والمنون: الموت، وأمّا كوننا أعوانه باعتبار أنّ كلّ نفس وحركة من الإنسان فهي مقرّبة له إلىٰ أجله، فكأنّه ساع نحو أجله ومساعد عليه، وهذا كقوله عليه السلام: «نَفَسُ ٱلْمَرْءِ خُطَاهُ إِلىٰ أَجَلِهِ»(٢).

والنصب بمعنى: منصوبة.

وقوله: «فمن أين نرجوا» إلىٰ آخره استفهام عن جهة رجاء البقاء استفهام إنكار لوجودها مع وجود الزمان الذي من شأنه أنّه لم يرفع بشيء شرفاً، ويجمع الأمر شملاً إلاّ أسرع العود في هدم ما رفع، وتفريق ما جمع.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٩١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٧٤.

٣٨ ـ إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وإِدْبَاراً؛ فأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ[١].

أمر عليه السلام بإعمال النفوس فيما ينبغي إعمالها فيه من فكر ونظر، حين ميلها إليه، وإقبالها عليه. ونفّر عن حملها عليه مع النفرة عنه والكراهيّة له؛ لأنّ إكراه النفس على الفكر في الشيء حين نفرتها عنه ملال أو ضعف قوة يزيدها كراهيّة، ويمنعها ذلك عن إدراك ما تفكّر فيه، فلا يدركه وإن كان واضحاً حتّى يكون كالأعمىٰ.

٣٩ ـ إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ ٱلأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ[٢].

أي: إذا جاء القدر بموته على وفق القضاء الإلهيّ خلّيا بينه وبين القدر، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[٣] الآية.

٤٠ ـ أَيُّهَا النَّاسُ، ٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ[٤].

رغّب في تقوى الله، والخشية منه، ومبادرة الموت، ومسابقته بالأعمال الصالحة.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٩٣.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠١.
(٣) سورة الأنعام، (٦) / ٦١.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٣.

٤١ ـ أَوَّلُ عِوَضِ ٱلْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى ٱلْجَاهِلِ[١].

فيه ترغيب على فضيلة الحليم بما يلزمه من نصرة الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه.

٤٢ ـ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلاّ أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ[٢].

التحلّم: تكلّف الحلم، والذي قاله عليه السلام قد جرّب وشوهد مراراً، وذلك لأنّ من تشبّه بقوم وتكلّف التخلّق بأخلاقهم، والتأدّب بآدابهم، واستمرّ على ذلك، ومرن عليه الزمان الطويل، اكتسب رياضة قويّة، وملكة تامّة، وصار ذلك التكلّف كالطبع له، وانتقل عن الخلق الأوّل، وذلك مشاهد في حال الأعرابيّ الجلْف[٣] الجافي إذا دخل المدن والقرىٰ وخالط أهلها فإنّه يصير بعد زمان طويل شبيهاً بساكني المدن، يلطف طبعه، بل هذا مشاهد في الحيوانات كالبازي والصقر والفهد الّتي تراض حتّى تذلّ، وتأنس وتترك طبعها القديم، بل قد شوهِد ذلك في الأسد، وهو أبعد الحيوانات من الإنس، حتّى نقل أنّ عضد الدولة بن بُويه كانت له أسود يصطاد بها كالفهود فتمسكه عليه حتّى يدركه فيذكيّه، وهذا من العجائب الطريفة[٤].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٦.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٧.

(٣) قال في الصحاح ٤ / ١٣٣٩ ـ مادة جلف: قولهم اعرابي جِلْف اي جاف وأصله من اجلاف الشاة وهي المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٧.

٤٣ ـ اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً، وَجَدَّ [جرّد ـ خ ل] تَشْمِيراً، وَأَكْمَشَ[١] فِي مَهَلٍ، وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ، وَعَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ، وَمَغَبَّةِ الْمَرْجِعِ[٢].

أكمش، أي جدّ وأسرع، والمهل: الإمهال. أي: اتّقوا الله كتقيّة من شمّر عن ساق الجدّ في طاعة الله، وجرّد نفسه لمرضاته تشميراً، وسارع بالأعمال الصالحة مادام في مهلة الحياة، وبادر مغفرته في وجل من ثمرات سيّئاته. والكرّة: الرجعة، والموئل: المرجع، والمغبّة: العاقبة.

٤٤ ـ أَغْضِ عَلَى الْقَذَى وَالْأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً[٣].

الإغضاء على القذى كناية عن كظم الغيظ، واحتمال المكروه، ولمّا كانت طبيعة الدّنيا معجونة بالمكاره لم يخل الإنسان في أكثر أحواله من ورودها عليه؛ فما لم يقابلها بالاحتمال بل بالتسخّط والغضب بها لم يزل ساخطاً تاعباً بغضبه لدوام ورود المكاره عليه.

٤٥ ـ أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ [الأطماع ـ خ ل][٤].

اعلم أنّ من شأن النفس مخادعته العقل، وغروره بزينة الحياة الدّنيا، وقيناتها[٥] وإطماعه بها؛ فالعقول الضعيفة غير المؤيّدة من الله أكثر ما تتخدّع وتتضرّع في جريها للنفوس الأمّارة إذا لاح لها مطمع وهمّي من الدنيا.

---

(١) في النهج: كمّش.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٣.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٩.

(٥) القينات: الاماء المغنيّات (لسان العرب ١١ / ٣٧٧ ـ مادة قين).

٤٦ ـ إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلكَ عِبَادَةُ ٱلْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبادَةُ ٱلْأَحْرَارِ[١].

إنّ العبادة لرجاء الثواب تجارة ومعاوضة، وإنّ العبادة لخوف العقاب لمنزلة من يستجدي لسلطان قاهر يخاف سطوته، وتلك ليس عبادة نافعة، وهي كمن يعتذر إلى إنسان خوف أذاه ونقمته، وأمّا العبادة لله شكراً لأنعمه فهي عبادة نافعة، ولكنّ هذا مقام جليل تتقاصر عنه قوى أكثر البشر[٢].

٤٧ ـ ٱتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَى وَإِنْ قَلَّ، وَٱجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ سِتْراً وَإِنْ رَقَّ[٣].

يقال في المثل: ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه[٤].

فالواجب على من عسرت عليه التقوى بأجمعها أن يتّقي الله في البعض، وأن يجعل بينه وبينه ستراً وإن كان رقيقاً.

وفي أمثال العامّة: اجعل بينك وبين الله رَوْزنة، والروزنة لفظة صحيحة معرّبة، أي لا تجعل ما بينك وبينه مسدوداً مظلماً بالكليّة[٥].

وبالفارسيّة يقولون: «هميشه جاى صلح باقى گذار».

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٧.

(٢) واشار (عليه السلام) في موضع آخر، فقال: ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، بل وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك (شرح ابن ميثم ٥ / ٣٦١).

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٧٥.

(٥) نفس المصدر السابق.

٤٨ ـ إِذَا ٱزْدَحَمَ ٱلْجَوابُ، خَفِيَ الصَّوَابُ[١].

أي إذا كثر الجواب في مسألة واحدة خفي الصواب فيها لالتباس الحقّ من تلك الأجوبة.

٤٩ ـ إِنَّ لِلّهِ في كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً، فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ[٢].

حقّ الله في النعمة شكرها الواجب، وأمّا استلزام أدائه للمزيد منها وكون التقصير مظنّة زوالها فلقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣] الآية.

٥٠ ـ إِذَا كَثُرَتِ ٱلْقُدْرَةُ [المقدرة ـ خ ل] قَلَّتِ الشَّهْوَةُ[٤].

هذا واضح، وله علّة أوردها ابن أبي الحديد في الشرح، ليس هنا مجال نقلها[٥].

٥١ ـ ٱحْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ، فَمَا كلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ[٦].

هذا أمر بالشكر على النعمة وترك المعاصي، فإنّ المعاصي تُزيل النِّعم كما قيل:

إذا كنت في نعمة فارعَها فإنّ المعاصي تُزيل النّعمْ[٧]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٣.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٤.
(٣) سورة ابراهيم (١٤) / ٧.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٥.
(٥) انظر: شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٧٨ ـ ٧٩.
(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٦.
(٧) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٨٠.

ومن كلامهم: الشكر جُنّة من الزوال، وأمنة من الانتقال[١].

وأيضاً: إذا كانت النعمة وسيمةً فاجعل الشكر لها تميمة[٢].[٣]

٥٢ ـ أَفْضَلُ ٱلْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ[٤].

إنّما كان كذلك، لأنّ فائدة الأعمال الصالحة تطويع النفس الأمّارة للنفس المطمئنة ورياضتها بحيث تصير مؤتمرة للعقل، وإكراه النفس على الأمر يكون لشدّته ؛ فكلّما كان أشدّ كان أقوى في رياضتها، وأنفع في تطويعها وكسرها، وبحسب ذلك يكون أكثر منفعة فكان أفضل.

ولهذا قال صلى الله عليه وآله: «أفضل الأعمال [العبادة ـ خ ل] أحمزها»، أي أشقّها[٥].

٥٣ ـ إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ[٦].

الإملاق: الفقر. قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَيٰهُ ٱللَّهُ﴾[٧].

قال بعض الشعراء في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيه تصدّقه عليه السلام بقرص الخبز، وإعادة الشمس عليه عليه السلام ولقد أجاد فيما أفاد:

جادَ بالقُرص والطَّوَى مِلْءُ جنبيـ ـه، وعافَ الطعامَ وهو سَغُوبُ[٨]

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) التميمة: عوذة تعلّق على الانسان (لسان العرب ٢ / ٥٤ مادة تمم).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٨٠.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٩.

(٥) شرح ابن ميثم ٥ / ٣٦٤.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٨.

(٧) سورة الطلاق (٦٥) / ٧.

(٨) السغوب: الجائع.

فأعـــاد القُـــرصُ المـــنيرُ عـــليه الـ ـقُرْصَ والمُقرِض الكـرامِ كَسـوبُ(١)

٥٤ ـ أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ(٢).

أكثر ما في هذه الدّنيا يقع على سبيل القرض والمكافأة، فقد رأينا عياناً مَن ظلم الناس فَظُلِمَ عقبه وولده، ورأينا من قتل الناس فقُتل عقبه وولده، ورأينا مـن أخـرب دوُراً فأُخـربت داره، ورأيـنا مَـن أحسـن إلىٰ أعقاب أهل النعم فأحسن الله إلىٰ عقبه وولده.

٥٥ ـ إِنَّ كَلاَمَ ٱلْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً(٣).

وذلك لقوّة اعتقاد الخلق فيهم، وشدّة قبولهم لما يقولون ؛ فإن كان حقّاً كان دواء من الجهل، وإن كان باطلاً أوجب للخلق داء الجهل.

ولذلك قيل: زلّة العالِم زلّة العالَم(٤).

٥٦ ـ أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا، عَسى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا، عسىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا(٥).

الهـون ـ بـالفتح ـ: التأنّـي والسكـينة والوقـار، وهـو صـفة مـصدر محذوف، أي حبّاً هيّناً معتدلاً. والبغيض: المبغض. وفائدة هذا الكـلام الأمر بالاعتدال في المحبّة والبغض، وعدم الإفراط فيهما؛ فربّما انقلب مَن تودّ فصار عدوّاً، وربّما انقلب مَن تعاديه فصار صديقاً.

---

(١) شرح ابن ابى الحديد ١٩ / ١٠١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٤.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٥.

(٤) شرح ابن ميثم ٥ / ٣٧٨.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٨.

٥٧ ـ إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ. وَرُبَّما شَرِقَ شَارِبُ ٱلْماءِ قَبْلَ رِيِّهِ، وَكُلَّما عَظُمَ قَدْرُ الشَّيءِ ٱلْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ. وَٱلْأَمانِيُّ تُعْمي أَعْيُنَ ٱلْبَصَائِرِ، وَٱلحَظُّ يأْتِي مَنْ لَا يأْتِيهِ[١].

قوله عليه السلام: «وربّما شرق...» إلىٰ آخره كلام فصيح، وهو مَثل لمن يُخْترم بغتة[٢] أو تطرقه الحوادث والخطوب وهو في تلهيةٍ من عيشه[٣].

ومثل الكلمة الأخرىٰ قولهم: على قدر العطيّة تكون الرزيّة[٤].

«والحظّ يأتي من لا يأتيه»، أي الحظّ لمن كان له حظ يصل اليه وإن لم يسع في طلبه.

وبالجملة، نفّر عليه السلام في هذا الفصل عن الطمع في الدنيا، والحرص في طلبها وتمنّيها واقتنائها.

وقد ضرب الحكماء مثالاً لفرط الطمع، أحببت إيراده، قالوا:

إنّ رجلاً صاد قُبَّرةً فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك؛ قالت: والله ما أشفي من قَرَم، ولا أسمن، ولا أغنى من جوع، ولكنّي أُعلّمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي؛ أمّا واحدة فأُعلّمك إيّاه وأنا في يدك، وأمّا الثانية فإذا صرتُ على الشجرة، وأمّا الثالثة فإذا صرتُ على الجبل. فقال: هاتي الأولىٰ: قالت: لا تَلهّفنّ على ما فات، فخلاّها، فلمّا صارت على الشجرة قال: هاتي الثانية، قالت: لا تُصدّقنّ بما لا يكون أنّه يكون، ثمّ طارت، فصارت على الجبل؛ فقالت: يا

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧٥.

(٢) أي يأتيه الموت بفتة.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١٦٦.

(٤) نفس المصدر السابق.

شقيّ لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درّتين، وزنُ كلّ واحدة ثلاثون مثقالاً،فعضّ على يديه، وتلهّف تلهّفاً شديداً، وقال: هاتي الثالثة، فقالت: أنت قد أُنسيتَ الإثنتين، فما تصنع بالثالثة، ألم أقل لك: لا تلهّفنّ على ما فات وقد تلهّفت، وألم أقل لك: لا تصدّقن بما لا يكون أنّه يكون. وأنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً، فكيف صدّقت أنّ في حوصلتي درّتين كلّ واحدة منهما ثلاثون مثقالاً! ثمّ طارت وذهبت(١).

٥٨ ـ اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُبِكَ مِنْ أَنْ تُحسِّنَ فِي لاَمِعَةِ اَلْعُيُونِ عَلاَنِيَتِي، وتُقَبِّحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتي، مُحَافِظاً عَلى رئاء النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنّي، فأُبْدِيَ للنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأُفْضِيَ إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلي، تَقَرُّباً إلىٰ عِبادِكَ، وَتَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ(٢).

لامعة العيون إضافة للصفة إلىٰ الموصوف، أي العيون اللامعة.

٥٩ ـ إِذَا أَضَرَّتِ النَّوافِلُ بِالْفَرائِضِ فَارْفُضُوها(٣).

وهذا يقرب من قوله عليه السلام: «لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض»(٤).

٦٠ ـ إِذَا أَرْذَلَ اَللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ اَلْعِلْمَ(٥).

أرذله، أي جعله رذلاً.

قيل: من علامة بغض الله تعالى للعبد أن يُبَغَّضَ إليه العلم(٦).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧٦.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧٩.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٨.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١٨٢.

قال الشاعر:

شكوتُ إلىٰ وَكيع سوءَ حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي
وعلّله بأنّ العلم فضلٌ ... وفضلُ الله لا يؤتيه عاصي[1]

٦١ ـ أَصْدِقَاؤُكَ ثَلاثَةٌ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلاثَةٌ؛ فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ. وَأَعْدَاؤُكَ، عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ[2].

والأصل في هذا أنّ صديقك جارٍ مجرى نفسك، فاحكم عليه بما تحكم به على نفسك، وعدوّك ضدّك، فاحكم عليه بما تحكم به على الضدّ.

٦٢ ـ إِنَّ ٱلْمِسْكِينَ رَسُولُ ٱللهِ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللهَ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى ٱللهَ[3].

هذا حضّ على الصدقة.

وورد: «اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمةٍ طيّبة»[4].

وورد: «لو صدق السائل لما أفلح من ردّه»[5].

٦٣ ـ ٱتَّقُوا ظُنُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ اللهَ[6] **جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِم**[7].

كان يقال: ظنّ المؤمن كهانة[8]. وذلك لإنّه لا يتخطّأ لصفاء نفسه،

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١٨٢: و قال لأنّ حفظ العلم فضل.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٩٥.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢١٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢١٠.

(٦) في النهج فان الله تعالىٰ.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٩.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢١٥.

وكمال استعدادها للفكر الصحيح كما قال صلى الله عليه وآله: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»[(١)].

٦٤ ـ إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبالاً وإِدْباراً؛ فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلى النَّوافِلِ، وَإِذَا أدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِها عَلى ٱلْفَرائِضِ[(٢)].

لاريب أنّ القلوب تملّ كما تملّ الأبدان؛ وتقبل تارة على العلم وتارة على العمل، وتدبر تارة عنهما.

قال عليه السلام: فإذا رأيتموها مقبلة أي قد نشطت وارتاحت للعمل فاحملوها على النوافل، أي أدّوا الفريضة وتنفّلوا بعدها. وإذا رأيتموها قد ملّت وسئمت فاكتفوا على الفرائض، فإنّه لا انتفاع بعمل لا يحضر القلب فيه.

٦٥ ـ أَنَا يَعْسُوبُ ٱلْمُؤمِنِينَ، وَٱلْمَالُ يَعْسُوبُ ٱلْفُجَّارِ[(٣)].

قال السيّد: ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتبعونني، والفجّار يتبعون المال؛ كما تتبع النحلُ يعسوبها، وهو رئيسها[(٤)].

٦٦ ـ اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ في ٱلْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ ٱلْحاكِمُ[(٥)].

إذا كان الشاهد هو الحاكم استغنىٰ عمّن يشهد عنده؛ فالإنسان إذن جديرٌ أن يتّقي الله حقّ تقاته، لأنّه تعالى الحاكم فيه وهو الشاهد عليه.

---

(١) شرح ابن ميثم ٥ / ٣٩٨.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣١٢.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣١٦.
(٤) نهج البلاغة، ص ٥٣١.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٤.

٦٧ ـ إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوالِ ٱلْأَغْنِياءِ أَقْواتَ ٱلْفُقَراءِ؛ فَما جَاعَ فَقِيرٌ إِلاّ بِمَا مَنع غَنِيٌّ،[١] وَٱللهُ تعالىٰ [جدّه] سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ[٢].

أراد بذلك الفرض الزكاة، ورهّب عليه السلام الأغنياء بقوله:«والله سائلهم عن ذلك».

٦٨ ـ ٱلاِسْتِغْناءُ عَنِ ٱلْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ[٣].

روي:« خير من الصدق»[٤].

والمعنى: لا تفعل شيئاً تعتذر عنه وإن كنت صادقاً في العذر، فإنّ الاستغناء عن العذر بعدم فعل ما يعتذر عنه أعزّ عليك وأنفع لك من أن تفعل ثمّ تعتذر عنه وإن كنت صادقاً.

ويحتمل أن يكون معنى «أعزّ» أي أكثر عزّة لك، إذ الإتيان بالعذر يحتاج إلىٰ ذلّة ومهانة، كما قيل: لا يقوم عزُّ الغضب بذلّة الاعتذار[٥].

٦٩ ـ أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلّهِ سُبْحانَهُ أنْ لاَ تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلىٰ مَعَاصِيهِ[٦].

وذلك أنّ العدل أن تستعينوا بنعمه على طاعته، فإن لم تفعلوا ذلك فلا أقلّ من أن يستعملوها في الأمور المباحة دون معصيته، فإنّ ذلك ممّا يعدّ لسخطه، فإنّه من القبيح الفاحش أن ينعم الملك على بعض رعيّته بمال وعبيد وسلاح، فيجعل ذلك المال مادّة لعصيانه والخروج عليه، ثمّ

---

(١) في النهج: بما مُتّع به غني.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٨.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٩.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٤١.
(٥) نفس المصدر السابق.
(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٠.

يحاربه بأولئك العبيد، وبذلك السلاح بعينه.

٧٠ ـ إِنَّ ٱللهَ سُبْحانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنيمَةَ ٱلْأَكْياسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ ٱلْعَجَزَةِ[١].

طاعته غنيمة الأكياس باعتبار استلزامها للنعيم المقيم في الآخرة. وسبب الغنيمة غنيمة.

والأكياس هم الذين استعملوا فطنهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل، والعجزة هم المقصّرون عمّا ينبغي لهم، وهذا مثل صيدٍ استذفّ[٢] لرجلين: أحدهما جلد والآخر عاجز، فقعد عنه العاجز لعجزه وحرمانه، واقتنصه الجلد لشهامته وقوّة جدّه[٣].

٧١ ـ أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا ٱسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ[٤].

وذلك لأنّ استهانته به يستلزم انهماكه فيه، واستكثاره منه، وعدم إقلاعه عنه حتّى يصير ملكة بخلاف ما يستصعبه من الذنوب.

٧٢ ـ أَكْبَرُ ٱلْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فيكَ مِثْلُهُ[٥].

هذا مثل قوله عليه السلام: «من نظر في عيوب غيره [٦]، فأنكرها، ثمّ رضيها لنفسه، فذلك الأحمق بعينه»[٧].

٧٣ـ أَيُّها النَّاسُ، لِيَرَكُمُ ٱللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ، كَما يَراكُمْ مِنَ النَّقْمَةِ فَرِقينَ! إِنَّهُ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣١.

(٢) استذفّ: امكن وتهيأ (لسان العرب ٥ / ٤٦ ـ مادة ذفف).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٤٣.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٨.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥٣.

(٦) في النهج: عيوب الناس.

(٧) نهج البلاغة، من الحكمة ٣٤٩.

مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذاتِ يَدِهِ، فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْراجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اَخْتِباراً فَقَدْ ضَيَّعَ مَأمُولاً[١].

الاستدارج: الأخذ على غرّة. وأمر بالوجل من نعمة الله حال إفاضتها خوف الاستدراج بها كما يخاف من النقمة، وذلك أنّ النعمة بلاء يجب مقابلته بالشكر كما أنّ النقمة بلاء يجب مقابلته بالصبر، والغرض الحثّ على فضيلتي الشكر والصبر.

وحذّر من الركون إلىٰ النعمة والغفلة فيها عن الله بقوله:«إنّه من وسّع» إلىٰ قوله: «مخوفاً» وكذلك حذّر الفقير أن يغفل عن كون فقره بلاء أو اختباراً بما يلزم ذلك من تضييع المأمول، وذلك لأنّه يستعدّ باعتقاد أنّه اختبار من الله له للصبر عليه، ويؤمّل منه تعالى الأجر الجزيل في الآخرة، وإذا لم يعتقد ذلك ضيّع مأموله منه.

٧٤ ـ إِذَا كانت لَكَ إِلىٰ اَللهِ سُبْحانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلاةِ عَلى النبي صَلَّى[٢] **اَللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ؛ فَإِنَّ اَللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ اَلْأُخْرىٰ**[٣].

٧٥ ـ إِنَّ اَللهَ سُبْحانَهُ وَضَعَ الثَّوابَ عَلىٰ طاعَتِهِ، وَاَلْعِقابَ عَلىٰ مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ وَحِياشَةً لَهُمْ إِلىٰ جَنَّتِهِ[٤].

الذودة: الدفع والمنع. وحياشة مصدر: حشت الصيد ـ بضمّ الحاء ـ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥٨.

(٢) في النهج: علىٰ رسوله.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٨.

أحوشه، إذا جئته من حواليه لتصرفه إلىٰ الحبالة[1].

أشار عليه السلام إلىٰ غايتي الحكمة الإلهية من وضع الثواب والعقاب وهما دفع عباد الله عن نقمته وجمعهم إلىٰ جنّته.

٧٦ ـ إِنَّ ٱلْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وَإِنَّ ٱلْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ[2].

مرؤ الطعام ـ بالضمّ ـ فهو مريء على «فعيل» كخفيف. ووبئ البلد ـ بالكسر ـ فهو وبيء على «فعيل» أيضاً[3].

والمراد أنّ الحقّ وإن كان ثقيلاً إلاّ أنّ عاقبته محمودة، والباطل وإن كان خفيفاً إلاّ أنّ عاقبته مذمومة، فلا يحملنّ أحدكم حلاوةُ عاجل الباطل على فعله، فلا خير في لذّة قليلة عاجلة، يتعقّبها مضارّ عظيمة آجلة، ولا يصرفنّ أحدَكم عن الحقّ ثقلُه، فإنّه سيحمد عقبى ذلك، كما يحمد شارب الدواء المرّ شربه فيما بعد إذا وجد لذّة العافية.

٧٧ ـ ٱحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ ٱللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طاعَتِهِ، فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخاسِرِينَ، وَإِذا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلىٰ طاعَةِ ٱللهِ، وإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ ٱللهِ[4].

حذّر من الأمرين بما يلزمه من دخوله في زمرة الخاسرين لثواب الله يوم القيامة، ثمّ أمر بالقوّة على طاعة الله ليتمّ الاستعداد بها لرحمته، وبالضعف عن معصيته ليضعف الاستعداد بها عن قبول سخط الله ونقمته.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٩٨.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣١٣.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٣.

٧٨ ـ أَلَا وَ إِنَّ مِنَ ٱلْبَلَاءِ ٱلْفَاقَةَ، وَأَشَدُّ مِنَ ٱلْفَاقَةِ مَرَضُ ٱلْبَدَنِ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ ٱلْبَدَنِ مَرَضُ ٱلْقَلْبِ، أَلَا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ ٱلْمالِ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ ٱلْمالِ صِحَّةُ ٱلْبَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ ٱلْبَدَنِ تَقْوَى ٱلْقَلْبِ(١).

أشار عليه السلام إلىٰ درجات البلاء وتفاوتها بالشدّة والضعف. وإلىٰ ما يقابلها من درجات النعمة كذلك.

فأمّا مرض القلب وصحّته فالمراد بها التقوىٰ وصحّتها، قال الله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى ٱللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢).

وقال بعض الشعراء:

المالُ للمرء في معيشته ... خيرٌ من الوالدين والولدِ
وإن تَدُمْ نِعمةٌ عليك تَجِدْ ... خيراً من المال صحّة الجسدِ
وما بمن نال فضلَ عافية ... وقوتَ يومٍ فقرٌ إلىٰ أحدِ(٣)

٧٩ ـ اَزْهَدْ فِي الدُّنْيا يُبَصِّرْكَ ٱللهُ عَوْراتِها، وَلاَ تَغْفُلْ فَلَستَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ(٤).

لمّا كانت محبّة الدّنيا مستلزمة لإخفاء عيوبها عن إدراك محبّيها، كما قيل: «حبّك الشيء يعمي ويصمّ»(٥)، كان بغضها والسخط عليها رافعاً لذلك الستر.

أمر عليه السلام بالزهد فيها لهذه الغاية؛ فإنّه إذا زهد فيها فقد سخطها، وإذا سخطها أبصر عيوبها مشاهدة لا رواية. وهذا كما قال القائل:

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٨.
(٢) سورة الشعراء (٢٦) / ٨٩.
(٣) جمهرة الأمثال ١ / ٣٥٦.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩١.
(٥) جمهرة الامثال ١ / ٣٥٦.

وعـينُ الرضـا عـن كـلّ عـيبٍ كـليلةٌ ولكنّ عين السُّخط تُبدي المَساويا[١]

ثم نهىٰ عن الغفلة فيها، إنّك غـير مـغفول عـنك، فـلا تـغفل أنت عـن نفسك؛ فإنّ أحقّ الناس وأولاهم أن لا يغفل عـن نـفسه مـن ليس بـمغفول عنه، ومن عليه رقيب وشهيد ومن يناقش عليه الفتيل[٢] والنقير[٣].

٨٠ـ إِنَّ لِلْوَالِدِ عَلى ٱلْوَلَدِ حَقّاً، وإِنَّ لِلْوَلَدِ عَلى ٱلْوالِدِ حَقّاً[٤]، فَحَقُّ ٱلْوالِدِ عَلى ٱلْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ فِي مَعْصِيَةِ ٱللهِ سُبْحانَهُ، وَحَقُّ ٱلْوَلَدِ عَلى ٱلْوالِدِ أَنْ يُحسِّنَ ٱسْمَهُ، وَيُحَسِّنَ أَدبَهُ، ويُعَلِّمَهُ ٱلْقُرْآنَ[٥].

أمّا صدر الكلام فمن قول الله سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُـرْ لِـي وَلِـوالِـدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْـمَصيرُ. وَإِنْ جـاهَداكَ عَـلى أَنْ تُشْـرِكَ بِـي مـا لَـيْسَ لَكَ بِـهِ عِـلْمٌ فَـلاَ تُطِعْهُما﴾[٦].

٨١ ـ ٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ وَلاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شيئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلىٰ بِفِعْلِ الْخيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ وَٱللهِ كَذٰلِكَ[٧].

القليل من الخير خير من عدم الخير أصلاً.

قوله: «ولا يقولنّ» إلىٰ آخره كناية عن ترك المرء الخـير اعـتماداً عـلى أنّ غيره بفعله أولىٰ، مـثل ردّ السـائل عـن البـاب وإحـالته إلىٰ آخـر بـقوله:

---

(١) البيت لعبدالله بن معاوية، الاغاني ١٢ / ٢١٤.

(٢) الفتيل: مايكون في شق النواة. (الصحاح ٥ / ١٧٨٨ ـ فتيل).

(٣) النقير: النقرة التي في ظهر النواة (الصحاح ٢ / ٨٣٥ ـ نقر).

(٤) في النهج تقديم وتأخير في هاتين الفقرتين.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٩.

(٦) سورة لقمان (٣١) / ١٤ ـ ١٥.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٢.

اذهب إلىٰ فلان، فهو أولى بأن يتصدّق عليك منّي.

«فيكون والله كذلك» أي أنّ الله يوفّق ذلك الشخص الذي أُحيل السائل عليه، فيصدّق عليه، فتكون كلمة ذلك الإنسان الأوّل قد صادف قَدَراً وقضاءً، ووقع الأمر بموجبها.

٨٢ ـ إنّ لِلْخَيْرِ والشَّرِّ أَهْلاً، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوه مِنْهُما كَفَا كُمُوهُ أَهْلُهُ(١).

هذا ترغيب في الخير وتنفير عن الشرّ.

٨٣ ـ إِنَّ لِلّهِ عِباداً يَخْتَصُّهُمْ [الله] بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبادِ، فَيُقِرُّها فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوها؛ فَإِذا مَنَعُوهَا نَزَعَها مِنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلىٰ غَيْرِهِمْ(٢).

وقريب من ذلك قول الشاعر:(٣)

لم يُعطك اللهُ ما أعطاك من نعمٍ … إلاّ لتوسعَ مَن يرجوك إحسانا

فإن منعت فأَخْلِقْ أن تُصادفها … تطير عنك زَرافاتٍ ووُحدانا(٤)

٨٤ ـ إِنَّ أَعْظَمَ ٱلْحَسَراتِ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللهِ فَوَرَّثَهُ رَجُلاً(٥) **فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ ٱللهِ سُبْحانَهُ فَدَخَلَ بِهِ ٱلْجَنَّةَ وَدَخَلَ ٱلأَوَّلُ بِهِ النَّارَ**(٦).

ويناسب هنا نقل قوله لابنه الحسن عليه السلام: «يَا بُنَيّ، لاَ تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الْدُّنيا...»(٧).

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٢.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٥.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٧٠.
(٤) الزرافات: الجماعات. منه رحمه الله.
(٥) في النهج: فورثه رجل.
(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٩.
(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٦.

٨٥ - إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَأَخْيَبَهُمْ سَعْياً، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ ٱلْمَقادِيرُ عَلىٰ إِرادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى ٱلْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ[١].

هذه حال أكثر الناس، وذلك لأنّ أكثر هم يكدّ بدنه ونفسه في بلوغ الآمال الدنيويّة، والقليل منهم من تساعده المقادير على إرادته، وإن ساعدته علىٰ شيء منها بقي في نفسه ما لا يبلغه، فأكثرهم إذن يخرج من الدّنيا بحسرته، ويقدم على الآخرة بتبعته.

٨٦ ـ ٱذْكُرُوا ٱنْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ، وَبَقَاءِ التَّبِعَاتِ[٢].

قال الشاعر:

تفنى اللذاذةُ ممّن نال بغيته ... من الحرام، ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مَغبّتها ... لا خير في لذّة من بعدها النّارُ[٣]

٨٧ ـ ٱخْبُرْ تَقْلِهْ[٤].

قال الرضيّ قدّس سرّه: ومن الناس من يروي هذا لرسول الله صلّى الله عليه وآله، وممّا يقوّي أنّه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب، قال: حدّثنا ابن الأعرابيّ قال: قال المأمون: لو لا أنّ علياً عليه السلام قال: آخبر تَقْلِه لَقُلت أنا: ٱقْلِهْ تَخْبُرْ[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٠.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٣.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٧٩.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٤. قلاه يقليه قليً ـ بالكسر ـ وقلاءً ـ بالفتح ـ أبغضه. والهاء مزيدة للسكت (شرح ابن ميثم ٥ / ٤٢٥).
(٥) نهج البلاغة، ص ٥٥٣.

المعنى: اخبر الناس وجرّبهم تبغضهم، فإنّ التجربة تكشف لك عن مساويهم وسوء أخلاقهم، فضرب مثلاً لمن يظنّ به الخير وليس هناك.

قيل: طيّروا الدم في وجوه الشباب، فإن حلموا وأحسنوا الجواب فهم هم، وإلاّ فلا تطمعوا فيهم(١).

طيّروا الدم في وجوه الشباب، أي أغضبوهم؛ لأنّ الغضبان يحمرّ وجهه.

قال الشاعر:

ذَممتُك أوّلاً حتّى إذا ما ... بلوتُ سواك عاد الذمُّ حمدا
ولم أحمدك من خيرٍ ولكن ... وجدتُ سِواك شرّاً منك جدّا
فعدت إليك مضطرّاً ذليلاً ... لأنّي لم أجد مِن ذاك بُدّا
كمجهودٍ تَحامى أكلَ مَيْتٍ ... فلمّا اضطُرّ عادَ إليه شدّا(٢)

٨٨ ـ أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عَرَّقَتْ فِيهِ الْكِرَامُ(٣).

عرّقت أي ضربت عروقه في الكرم، أي له سَلَف وآباء كرام.

قال البحتريّ:

وأرى النجابةَ لا يكون تمامُها ... لنجيب قومٍ ليس بابن نجيب(٤)

٨٩ ـ إِذَا كَانَ فِي رِجُلٍ خَلَّةٌ رائِقَةٌ [رائعة ـ خ ل]، فَانْتَظِرُوا مِنْهُ أَخَوَاتِها(٥).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٨٠

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٨١

(٣) في نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٦. من عرفت به الكرام.

(٤) ديوان البحتري ١ / ١٧٠.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٤٤٥. وليست كلمة (منه) في النهج.

مثال ذلك إنسان مستور الحال عنّا رأيناه وقد صدرتْ عنه حركة تروعك وتعجبك؛ إمّا لحسنها أو لقبحها، فينبغي أن ينتظر ويترقّب منه أخوات ما وقع منه؛ وذلك لأنّ العقل والطبيعة التي فيه المحرّكة له إلىٰ فعل تلك الحركة، لابدّ أن تحرّكه إلىٰ فعل ما يناسبها، لأنّها ما دعته إلىٰ فعل تلك الحركة لخصوصيّة تلك الحركة، بل لما فيها من المعنى المقتضي وقوعها، وهذا يتعدّى إلىٰ غيرها ممّا يجانسها، ولذلك لاترى أحداً قد شرب الخمر إلاّ وسوف يشربها فيما بعد، وبالعكس في الأمور الحسنة.

٩٠ ـ أَلاَ حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّماظَةَ لِأَهْلِها؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ ٱلْجَنَّةَ، فَلاَ تَبِيعُوها إِلاَّ بِهَا[١].

اللماظة ـ بفتح اللام [٢] ـ ما تبقى في الفم من الطعام؛ قال الشاعر يصف الدّنيا:

لُماظة أيّامٍ كأحلامِ نائم[٣].

«ألا حرّ» مبتدأ، وخبره محذوف، أي في الوجود. وقوله:«ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة» إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:﴿إِنَّ ٱللهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٦.

(٢) في أساس البلاغة والصحاح وغيرهما: اللماظة ـ بضمّ اللام ـ.

(٣) قبله:

ومازالت الدنيا يخون نعيمها ... وتصبح بالامر العظيم تمخّض

لمـاظة أيّام كأحلام نائم ... يُذعذع من لذّاتها المتبرّض

(٤) سورة التوبة (٩) / ١١١.

٩١ - إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُون فِيهِ، وَلَوِ ٱخْتَلَفُوا[١] فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ[٢].

قال الرضيّ قدس سره: وهذا من أفصح الكلام وأغربه، والمرود هاهنا مِفعل من الإرواد، وهو الإمهال والإنظار، فكأنّه عليه السلام شبّه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلىٰ الغاية، فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها[٣].

قال الفاضل المؤرّخ الأديب عبد الحميد المشهور بابن أبي الحديد: هذا إخبار عن غيب صريح، لأنّ بني أُميّة لم يزل ملكهم منتظماً لمّا لم يكن بينهم اختلاف، وإنّما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية في صفين، وحرب يزيد أهل المدينة، وابن الزبير بمكّة، وحرب مروان الضحّاك، وحرب عبدالملك ابنَ الأشعث وابن الزبير، وحرب يزيد ابنه بني المهلب، وحرب هشام زيد بن عليّ، فلمّا ولي الوليد ابن يزيد وخرج عليه ابن عمّه يزيد بن الوليد وقتله، اختلفت بنو أميّة فيما بينهما، وجاء الوعد -وصدق من وعد به - فإنّه منذ قتل الوليد دعت دعاة بني العبّاس بخراسان، وأقبل مروان بن محمّد من الجزيرة يطلب الخلافة، فخلع إبراهيم بن الوليد، وقتل قوماً من أميّة، واضطرب أمر الملك وانتشر، وأقبلت الدولة الهاشميّة ونمت، وزال ملك بني أُميّة، وكان زوال ملكهم على يد أبي مسلم، وكان في بدايته أضعف خلق الله وأعظمهم فقراً

---

(١) في النهج: قد اختلفوا.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٤.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٥٥٧.

ومسكنة، وفي ذلك تصديق قوله عليه السلام: «ثمّ كادتهم الضباع لغلبتهم».[١] انتهى.

قلت: ولفظ الضباع قد يستعار للأراذل والضعفاء. ونحن قد ذكرنا شرح حال الخلفاء وما وقع في أيّامهم في كتابنا المسمّى: «تتمّة المنتهى في وقايع أيّام الخلفاء»

٩٢ ـ إِذا ٱحْتَشَمَ ٱلْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَارَقَهُ[٢].

ليس يعني أنّ الاحتشام علّة الفرقة بل هو دلالة وأمارة على الفرقة، لأنّه لو لم يحدث عنه ما يقتضي الاحتشام لانبسط على عادته الأولى، فالانقباض أمارة المباينة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٨٠.

حرف الباء

٩٣ ـ بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَنْمَى عَدَداً، وَأَكْثَرُ وَلَداً[١].

قال ابن ميثم: لا أرىٰ ذلك إلاّ للعناية الإلهيّة ببقاء النوع وحفظه وإقامته[٢].

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: قال شيخنا أبو عثمان: ليته لمّا ذكر الحكم ذكر العلّة!

ثمّ قال: قد وجدنا مصداق قوله في أولاده وأولاد الزبير وبني المهلَّب وأمثالهم ممّن أسرع القتلُ فيهم.

وأتي زياد بامرأة من الخوارج فقال: أما والله لأحصدنّكم حصْداً، ولأفنينّكم عدّاً، فقالت: كلاّ، إنّ القتل ليزرعنا، فلمّا همّ بقتلها تستّرت بثوبها، فقال: اهتكوا سترها لحاها الله![٣] فقالت: إنّ الله لا يهتك ستر

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٨٤

(٢) شرح ابن ميثم ٥ / ٢٨٣.

(٣) قال في الصحاح ٦ / ٢٤٨١ ـ مادة لحي: وقولهم: لحاه الله، أي قبّحه ولعنه.

أوليائه، ولكن الّتي هتك [١] سترها على يد ابنها سميّة، فقال: عجّلوا قتلها أبعدها الله! فقتلت [٢].

٩٤ ـ بِئْسَ الزَّادُ إِلَىٰ ٱلْمَعَادِ، ٱلْعُدْوَانُ إِلَىٰ [٣] ٱلْعِبَادِ [٤].

لأنّ الظلم رذيلة عظيمة مستلزمة للشقاء الأشقىٰ في يوم الطامة الكبرىٰ. وفي الحديث: الظلم ظلمات يوم القيامة [٥].

٩٥ ـ بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ ٱلْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ ٱلْوَاصِلُونَ، [٦] وَبِالإِفْضَالِ تَعْظُمُ ٱلْأَقْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَبِاحْتِمَالِ ٱلْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدَدُ، وَبِالسِّيرَةِ ٱلْعَادِلَةِ يُقْهَرُ ٱلْمُنَاوِئُ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَيْهِ [٧].

قال يحيى بن خالد: ما رأيت أحداً قطّ صامتاً إلاّ هبْتُه حتّى يتكلّم، فإمّا أنْ تزداد تلك الهيبة أو تنقص [٨].

ولا ريب أنّ الإنصاف سبب انعطاف القلوب إلىٰ المنصف، وأنّ الإفضال والجود يقتضي عظم القدر، لأنّه إنعام، والمنعم مشكور، وهكذا إلىٰ آخره، فإنّ الاستقراء واختبار العادات تشهد بجميع ذلك.

---

(١) اشارة إلىٰ ما وقع في زمان معاوية بن أبي سفيان من إلحاق زياد بابيه. بشهادة أبي مريم السّلوليّ في محضر زياد بزناء أبي سفيان سميه. منه ﷺ.
انظر تفصيل ذلك في شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ١٨٧ نقلاً عن المدائنيّ.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٣٥.
(٣) في النهج: على.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢١.
(٥) الكافي ٢: ٣٣٢.
(٦) في النهج: المواصلون.
(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٤.
(٨) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٤٨.

قوله:«وبالسيرة العادلة يقهر المناوئ»، المناواة: المعاداة، وذلك لأنّ العدوّ لا يجد لصاحب السيرة العادلة عيباً يستظهر به عليه، ويسعىٰ به في فساد أمره فيبقى مقهواً مأموراً.

٩٦ ـ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ ٱلْغِرَّةِ(١).

اعلم أنّ الدنيا بشهواتها ولذّاتها حجاب بين العبد وبين الموعظة، لأنّ الإنسان يغترّ بالعاجلة، ويتوهّم دوام ما هو فيه، وإذا خطر بباله الموت وعد نفسه رحمة الله وعفوه؛ هذا إذا كان ممّن يعترف بالمعاد، وإلاّ فإنّ كثيراً ممّن يُظهر القول بالمعاد فهو في الحقيقة غير مستيقن له.

وبالجملة، الإخلاد إلىٰ عفو الله والاتّكال على المغفرة مع الإقامة على المعصية، غرور لا محالة، والحازم من عمل لما بعد الموت، ولم يُمنّ نفسه الأمانيّ الباطلة.

٩٧ ـ ٱلْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِىءِ ٱلْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إلىٰ كُلِّ سُوءٍ(٢).

البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء،وهي مستلزمة للجهل والفجور وحبّ الدّنيا والجبن والظلم والحرص والحسد والشرّ ودناءة الهمّة والكذب والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة.

وبالجملة، أكثر الرذائل من توابع البخل ولواحقه، وإنّه زمام إلىٰ كلّ منها.

وفي الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله:« ثلاث مُهلكات: شحّ مطاع، وهوىً متّبع، وإعجاب المرء بنفسه»(٣).

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣١٦.

حرف التاء

٩٨ ـ تَذِلُّ ٱلأُمورُ لِلْمَقَادِيرِ، حتَّى يَكُونَ ٱلْحَتْفُ فِي التَّدْبِير[١].

قال ابن أبي الحديد: إذا تأملت أحوال العالم وجدت صدق هذه الكلمة ظاهراً، ولو شئنا أن نذكر الكثير من ذلك لذكرنا ما يحتاج في تقييده بالكتابة مثل حجم كتابنا هذا[٢]. أي كتاب شرحه على النهج.

ثمّ ذكر قليلاً منه، طوينا عن ذكره كشحا.

٩٩ ـ تَوَقَّوْا ٱلْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وتَلَقَّوْهُ فِي آخِره؛ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي ٱلْأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي ٱلْأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ، وَآخِرُهُ يُورِقُ[٣].

هذه مسألة طبيعيّة قد ذكرها الحكماء، قالوا: لمّا كان تأثير الخريف في الأبدان، وتوليده الأمراض كالزكام والسعال وغيرهما أكثر من تأثير الربيع، مع أنّهما جميعاً فصلا اعتدال، وأجابوا بأنّ برد الخريف يفجأ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٢٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٢٨.

الإنسان وهو معتاد للحرّ بالصيف فينكأ فيه، ويسدّ مسامّ دماغه، لأنّ البرد يكثف ويسدّ المسامّ فيكون كمن دخل من موضع شديد الحرارة إلىٰ خيش بارد[١].

فأمّا المنتقل من الشتاء إلىٰ فصل الربيع فإنّه لا يكاد برد الربيع يؤذيه ذلك الأذىٰ، لأنّه قد اعتاد جسمه بردَ الشتاء، فلا يصادف من برد الربيع إلاّ ما قد اعتاد ما هو أكثر منه، فلا يظهر لبرد الربيع تأثير في مزاجه، على أنّ الصيف والخريف يشتركان في اليبس فإذا ورد البرد حينئذٍ ورد على أبدان استعدّت بحرارة الصيف ويبسه للتخلخل وتفتّح المسامّ والجفاف، فاشتدّ انفعال البدن عنه، وأسرع تأثيره في قهر الحرارة الغريزيّة، فيقوى بذلك في البدن قوّتا البرد واليبس اللّتان هما طبيعة الموت، فيكون بذلك يبس الأشجار واحتراق أوراقها، وضمور الأبدان وضعفها.

فأمّا لِمَ أورقت الأشجار وأزهرت في الربيع دون الخريف؟ فلما في الربيع من الكيفيتين اللّتين هما منبع النموّ والنفس النباتيّة، وهما الحرارة والرطوبة، والخريف خال من هاتين الكيفيّتين ومستبدل بهما ضدّهما، وهما البرودة واليبس المنافيان للنشوء وحياة الحيوان والنبات[٢].

١٠٠ ـ تَنْزِلُ ٱلْمَعُونَةُ عَلىٰ قَدْرِ ٱلْمَؤُونَةِ[٣].

المؤونة: التعب والشدّة، والمراد أنّ الشدّة والثقل بالعيال ونحوهم

---

(١) الخيش: قيل: هو بيت يتخذ من اغصان الخلاف بورقها، ويرشّ عليه الماء ليضربه الهواء فيبرد، يتخذ للجلوس فيه بالصيف كذا قيل. منه ؛.

(٢) نقل المؤلف الشارح ؛ أقوال الحكماء من شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣١٩. وشرح ابن ميثم ٥ / ٣١١.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٩.

معدّ لاستنزال معونة الله برزقه وقوّته على القيام بأحوالهم ودفع المؤونة من جهتهم.

وقد مرّ قريباً من هذا في قوله عليه السلام: «استنزلوا الرزق بالصدقة»[١].

١٠١ ـ تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ[٢].

إذ الترك لا كلفة فيه لكونه عدماً، بخلاف التوبة؛ فإنّه إذا واقع الإنسان الذنب، ثمّ طلب التوبة، فقد لا يخلص داعيه إليها، ثمّ لو خلص فكيف له بحصولها على شروطها، ولا ريب أنّ ترك الذنب من الابتداء أسهل من طلب توبة هذه صفتها.

١٠٢ ـ تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ[٣].

قال ابن أبي الحديد: هذه إحدىٰ كلماته عليه السلام الّتي لا قيمة لها، ولا يقدر قدرها[٤]؛ والمعنى قد تداوله الناس قال:

وكائن تَرىٰ مِن صامتٍ لك مُعجبٍ زيادتُه أو نقصُه في التكلُّمِ[٥]
لسانُ الفتىٰ نِصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فلم يَبْقَ إلاّ صورةُ اللّحم والدَّمِ[٦]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٧.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٠: طلب المعونه.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٢.

(٤) شرح ابن ابي الحديد ١٩ / ٣٤٠.

(٥) اي: وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه وانما تظهر زيادته ونقصانه عن غيره عند التكلم.

(٦) البيتان لزهير بن ابي سلمى، من معلقته بشرح الزوزني، ص ٨٠

١٠٣ ـ التُّقَى رَئِيسُ الْأَخْلاَقِ[١].

التّقى هو الورع والخوف من الله، وإذا حصل حصلت الطاعات كلّها، وانتفت القبائح كلّها، وتلك طبقة عالية أُشرف من جميع الطبقات الّتي يُمدح بها الإنسان.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٠.

حرف الجيم

١٠٦ ـ ٱلجُودُ حَارِسُ ٱلأَعْرَاضِ، وَٱلْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ، وَٱلْعَفْوُ زَكاةُ الظَّفَرِ، وَالسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَر، وَٱلاسْتِشَارَةُ عَيْنُ ٱلْهِدايَةِ. وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنى بِرَأْيِهِ، والصَّبْرُ يُنَاضِلُ ٱلْحِدثَانَ، وَٱلْجَزَعُ مِنْ أعْوَانِ الزَّمانِ. وَأشْرَفُ ٱلْغِنَى تَرْكُ ٱلْمُنَى. وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ عِنْدَ[1] هَوىً أَمِيرٍ! وَمِن التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ، وَٱلْمَوَدَّةُ قَرابَةٌ مُسْتَفادَةٌ، وَلاَ تَأْمَنَنَّ مَمْلُولاً [مَلولا ـ خ ل][2].

مثل قوله عليه السلام: «الجود حارس الأعراض» قولهم: كلّ عيب فالكرم يغطّيه[3].

والفدام: خرقة تجعل على فم الإبريق، فشبّه الحلم بها، فإنّه يردّ السفيه عن السفه كما يردّ الفدامُ الخمر عن خروج القذىٰ منها إلىٰ

(١) في النهج: تحت.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢١١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣١.

حرف الثاء

١٠٤ - ثَـمَرَةُ التَّـفْرِيطِ النَّـدامَـةُ، وَثـمَرَةُ ٱلْـحَزْمِ السَّلاَمَةُ[1].

التفريط: إضاعة الحزم في الأمور، وأصل الحزم قوّة العقل، وكثرة التجربة؛ فإنّ العاقل خائف أبداً، والأحمق لا يخاف، ومن خاف أمراً توقّاه، فهذا هو الحزم.

١٠٥ ـ الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ ٱلاستِحْقَاقِ مَلَقٌ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ ٱلاستِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ[2].

الملق هو اللطف الشديد بالقول، والإفراط في المدح، وأمّا إذا قصّر به عن استحقاقه كان المانع إمّا من جانب المُثني فقطّ من غير تعلّق له بالمثنى عليه، أو مع تعلّق به؛ فالأوّل هو العيّ والحصر، والثاني هو الحسد والمنافسة.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٨١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٧.

الكأس[١].

والمناضلة: المراماة[٢].

قوله:«والجزع من أعوان الزمان»، يعني أنّ الإنسان إذا جزع عند المصيبة فقد أعان الزمان على نفسه، وأضاف إلىٰ نفسه مصيبة أخرىٰ.

وقد سبق القول ترك المنى.

وحفظ التجربة: لزومها ومداومتها لغاية الانتفاع بها.

«ولا تأمننّ ملولاً» لأنّ الملول يصرفه ملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكتمان السرّ ونحوها.

١٠٧ ـ جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ، عَالِمُكُمْ[٣] مُسَوِّفٌ[٤].

أي مزداد الإثم، مسوّف بالتوبة.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) لسان العرب ١٤ / ١٨١ ـ نضل.

(٣) في النهج: وعالمكم.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٣.

حرف الحاء

١٠٨ ـ اَلْحَذَرَ اَلْحَذَرَ! فَوَ اَللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حَتّىٰ كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ[١].

حذّر من سخط الله بسبب معصيته لطول إمهاله وستره إلىٰ الغاية المذكورة، فيجب أن يحذر غضبه، ويجتنب معصيته، ويرجع إلىٰ طاعته الّتي هي الغاية من عنايته بستره.

١٠٩ ـ حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ اَلْمَوَدَّةِ[٢].

إذا حسدك صديقك على نعمة أُعطيتها لم تكن صداقته صحيحة، فإنّ الصديق حقّاً من يجري مَجرىٰ نفسك، والإنسان لم يحسد نفسه.

١١٠ ـ اَلْحَجَرُ اَلْغَصْبُ[٣] **فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلىٰ خَرَابِهَا**[٤].

قال الرضيّ ﷺ: وقد روي ما يناسب هذا الكلام عن النبيّ ﷺ ولا

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٨.

(٣) في النهج: الغصيب.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٠.

عجب أن يشتبه الكلامان؛ فإنّ مستقاهما من قليب، ومفرغهما من ذَنوب[١].

الذنوب ـ بالفتح ـ: الدلو الملأى، ولا يقال لها وهي فارغة[٢].

ومعنى الكلمة أنّ الدار المبنيّة بالحجارة المغصوبة ولو بحجر واحد، لابدّ أن يتعجّل خرابها، وكأنّما ذلك الحجر رهْن على حصول التخرّب، أي كما أنّ الرهن لابدّ أن يُفتكّ، كذلك لابدّ لِما جُعل ذلك الحجر رهناً عليه أن يحصل.

وقال ابن بسّام لأبي عليّ بن مُقْلة لمّا بنى داره بالزاهر ببغداد من الغصب وظلم الرعيّة:

قلْ لابن مُقلة مهلاً لاتكن عَجِلاً ... فإنّما أنت في أضْغاث أحلامِ
تَبْني بأنقاض دورِ الناسِ مجتهداً ... داراً ستُنْقَضُ أيضاً بعدَ أيّامِ

وكان ما تفرّسه ابن بسّام فيه حقّاً، فإنّ داره نُقِضتْ حتّى سوّيت بالأرض في أيّام الراضي بالله[٣].

١١١ ـ اَلْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ اَلْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ[٤].

كأن يقال: لا يصحّ لحديد رأي، لأنّ الحدّة تصدئ العقل كما يصدئ الخلّ المرآة فلا يَرىٰ صاحبه فيه صورة حسن فيفعله، ولا صورة قبيح

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥١١.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٧٢.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٧٢ ـ ٧٣.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٥.

فيجتنبه[١].

وكان يقال أيضاً: أوّل الحدّة جنون، وآخرها ندم[٢].

١١٢ ـ ٱلْحِلْمُ عَشِيرَةٌ.[٣]

لأنّه يحمي صاحبه ممّن ينافره ويعاديه كما يحميه عشيرته.

قالوا: مَن غرس شجرة الحلم، اجتنى ثمرة السلم[٤].

وقالوا أيضاً: الحلم جنود مجنّدة لا أرزاق لها[٥].

قال الشاعر:

وَلَلْكَفُّ عن شتْم اللئيم تكرّماً ... أضرُّ له من شتْمه حين يشتم[٦]

١١٣ ـ ٱلْحِلْمُ غِطاءٌ سَاتِرٌ وَٱلْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ؛ فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ[٧].

لمّا جعل الله الحلم غِطاء، والعقل حساما، أمره أن يستر خلل خلقه بذلك الغطاء، وأن يقاتل هواه بذلك الحُسام، وكون الحلم غطاء باعتبار انّه يستر سورة الغضب وقبيح ما يصدر عنه من الأفعال.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩/ ٩٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩/ ٩٦.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد، ٢٠/ ٦١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد، ٢٠/ ٦١.

(٦) شرح ابن أبي الحديد، ٢٠/ ٦١.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٤.

١١٤ ـ ٱلْحِلْمُ وَٱلْأَنَاةُ تَوْأَمَانِ، يُنْتِجُهما عُلُوُّ ٱلْهِمَّةِ[١].

وذلك لأنّ عالي الهمّة يستحقر كلّ ذنب ومذنب في حقّه، فيحلم عنه ويتأنّى عن المبادرة إلىٰ مقابلته.

قالوا: علّمنا الله تعالى فضيلة الأناة بما حكاه عن سليمان، ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ﴾[٢][٣].

وكان يقال: الأناة حصن السلامة، والعجلة مفتاح الندامة[٤].

وقيل أيضاً: التأنّي مع الخيبة خير من التهوّر مع النجاح[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٠.

(٢) سورة النمل (٢٧) / ٢٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد، ٢٠ / ١٧٧.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) نفس المصدر اسابق.

حرف الخاء

١١٥ ـ خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ[١].

حنّوا ـ بالحاء المهملة ـ من الحنين، وهو الشوق وتوقان النفس، من حنّ إليه يحنُّ ـ بالكسر ـ حنيناً[٢].

وقال ابن أبي الحديد: وقد روي «خنّوا» بالخاء المعجمة، من الخنين؛ وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء. وإلىٰ تتعلّق بمحذوف، أي حنّوا شوقاً إليكم[٣]. وفيه كما ترىٰ.

وبالجملة، هذا الكلام في الأمر بإحسان العشرة مع الناس، وقد ورد في هذا الباب كثير واسع.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٠.

(٢) الصحاح ٥ / ٢١٠٤ ـ حنن.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٠٧.

قال محمّد بن الحنفيّة: قد يدفع باحتمال المكروه ما هو أعظم منه[١].

وروي: حسن السؤال نصف العلم، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة[٢].

وفي معنى كلامه عليه السلام قول السعديّ بالفارسيّة:[٣]

چنان زى كه ذكرت به تحسين كنند

چو مردى نه برگور نفرين كنند

١١٦ ـ خُذِ ٱلْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ، فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَكُونُ في صَدْرِ ٱلْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجَ صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلىٰ صَوَاحِبِهَا في صَدْرِ ٱلْمُؤْمِنِ[٤].

قال الرضيّ ـ رضي الله عنه ـ: وقال عليه السلام في مثل ذلك:

١١٧ ـ ٱلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ، فَخُذِ ٱلْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ[٥].

أمر عليه السلام بأخذ الحكمة وتعلّمها أين وُجدت، ولو من المنافقين، ورغّب من عساه يستنكف من أخذها من بعض المواضع أن يأخذها من كلّ موضع وجدها.

وكنّى بتلجلجها أو اختلاجها على الروايتين عن اضطرابها، وعدم ثباتها في صدر المنافق إلىٰ أن تخرج إلىٰ مظنّها وهي صدر المؤمن، فتسكن إلىٰ صواحبها من الحكم فيه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٠٨.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) كليات سعدى، ص ٢٦٠.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٧٩.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٨٠

واستعار لفظ الضالّة للحكمة، بالنسبة إلىٰ المؤمن باعتبار أنّها مطلوبه الّذي يبحث عنها وينشدها كما ينشد الضالّة صاحبُها.

وحكي أنّه خطب الحجّاج فقال: إنّ الله أمرنا بطلب الآخرة، وكفانا مؤونة الدّنيا، فليْتَنا كُفينا مؤونة الآخرة، وَأُمرنا بطلب الدّنيا! فسمعها الحسن،[1] فقال: هذه ضالّة المؤمن خرجت من قلب المنافق[2].

١١٨ ـ اَلْخِلافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ[3].

أصله: أنّ رأي الجماعة يجتمع على أمر تكون المصلحة فيه، فيقع من بعضهم خلاف فيه، فيهدم ما اجتمعوا عليه ورأوه من المصلحة.

كما رأى هو عليه‌السلام وجماعة من أصحابه عند رفع أهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير من إتمام القتال، وهو المصلحة، فهدم ذلك الرأي من خالف فيه من أصحابه حتّى وقع بذلك ما وقع[4].

١١٩ ـ خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ، وَاَلْجُبْنُ، وَاَلْبُخْلُ؛ فَإِذَا كَانَتِ اَلْمرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيءٍ يَعْرِضُ لَهَا[5].

الأخلاق الثلاثة المذكورة رذائل للرجال وهي فضائل للنساء، وبيان ذلك ما ذكره عليه‌السلام.

والمزهوّة: المتكبّرة تقول: زُهي الرجل علينا، فهو مزهوّ، إذا افتخر.

---

(١) رأي البصري. منه رحمه‌الله.

(٢) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢٢٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٥.

(٤) شرح ابن ميثم، ٥ / ٣٥٢.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٤.

وفرقت: خافت[١].

١٢٠ ـ خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ؛ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ[٢].

الإجمال في طلب الدّنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي، وعلى الوجه الّذي ينبغي، وهي من الألفاظ النبويّة، قال صلى الله عليه وآله: «إنّ روح الأمين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها، [ألا ـ ظ] فَأَجملوا في الطلب[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٦٥.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٣.

(٣) الكافي، ٢ / ٧٤. قال في النهاية ٥ / ٨٨ ـ مادة نفث: نفث في روعي: اي أوحى وألقى من النفث بالغم وهو شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل وقال في المصباح المنير ١ / ١٣٦ ـ مادّة جمل: أجملت في الطلب: رفقت.

حرف الدال

١٢١ ـ الدَّهْرُ يُخْلِقُ ٱلْأَبْدَانَ، ويُجَدِّدُ ٱلْآمَالَ، ويُقَرِّبُ ٱلْـمَنِيَّةَ، وَيُـبَعِّدُ[1] ٱلْأُمْنِيَّةَ؛ مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ[2].

إخلاق الدهر للأبدان إعداده لضعفها وفسادها بمروره، وما يلحق أجزاءه وفصوله من الحرّ والبرد والمتاعب المنسوبة إليه، وتجديده للآمال بحسب الغرور الحاصل بالبقاء، والصّحة فيه، وأكثر ما يعرض ذلك للمشايخ، فإنّ طول أعمارهم وتجاربهم لما يعرض فيه من الحاجة والفقر، يغريهم بالحرص على الجمع، ومدّ الأمل فيه لتحصيل الدّنيا، وتقريبه للمنيّة بحسب إخلاقه للأبدان، وتبعيده للأُمنيّة بحسب تقريبه للمنيّة.

ومن ظفر بالدهر، شقي بضبطها وحفظها، ومن فاته، تعب في تحصيلها.

---

(١) في النهج: يباعد.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٧٢.

ولا يخفى ما في كلّ من القرينتين من السجع[١].

قال بعض الحكماء: الدّنيا تسرُّ لِتَغُرّ، وتفيد لتكيد، كم راقد في ظلّها قد أيقظتْه، وواثق بها قد خذلتْه، بهذا الخُلُق عُرفت، وعلى هذا الشرط صُوحِبتْ[٢].

وقال شاعر فأحسن:

كأنّك لم تَسْمَعْ بأخبار مَن مضى
ولم تر بالباقين ما صنع الدَهْرُ

فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم
عفاها فحال الريح بعدك والقَطْرُ

وهل أبصرتْ عيناكَ حيّاً بمنزلٍ
على الدهر إلاّ بالعراء له قَبْرُ

فلا تحسبنّ الوفر مالاً جمعتَه
ولكنّ ما قدمْتَ من صالحٍ وفْرُ

مضى جامعوّ الأموال لم يتزوّدوا
سوى الفقر يا بؤسَى لمن زاده الفقرُ

فحتّامَ لا تصحو وقد قرب المدى
وحتّام لا ينجاب عن قلبك السكْرُ

بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا
وتذكر قولي حين لا ينفع الذكْرُ

---

(١) في القرينتين الاوليين السجع المتوازن، وفي المتوسطتين السجع المطرّف، وفي الاخيرتين السجع المتوازي.

(٢) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢١٨.

ومـــا بـــين مـــيلاد الفـــتىٰ ووفـــاته
إذا انـــــتصح الأقـــوام أنـفسهم عَـمْرُ
لأنّ الذي يأتـــــيه شـــبهُ الذي مـضىٰ
ومـــــا هـــو إلاّ وقـتك الضـيقُ النَّـزْرُ
فـــصبراً عـــلى الأيّـــام حـتّى تـجوزَها
فـــعمّا قـليلٍ بـعدها يُـحمد الصـبرُ[١]

١٢٢ ـ الدُّنْيا دَارُ مَمَرٍّ لاَ دارُ مَقَرٍّ، وَالنَّاسُ فِيها رَجُلاَنِ: رَجُـلٌ بَـاعَ نَـفْسَهُ[٢] فَأَوْبَـقَهَا، وَرَجُـلٌ ٱبْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا[٣].

أوبـقها، أي أهـلكها، وكـون الدّنـيا دار مـمرّ بـاعتبار أنّـها طـريق إلىٰ الآخرة الّتي هي دار المقرّ.

١٢٣ ـ الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ[٤].

من خلا من العمل فقد أخلّ بالواجبات، ومـن أخـلّ بـالواجـبات فـقد فسق، والله تعالىٰ لا يقبل دعاء الفاسق.

وشبّهه بالرامي بلا وتر، فإنّ سهمه لا ينفذ[٥].

ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله: أحمق الناس من ترك العـمل وتـمنّى عـلى الله[٦].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، ١٨ / ٢١٨ ـ ٢١٩.
(٢) في النهج: باع فيها نفسه.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٣.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٧.
(٥) شرح ابن أبي الحديد، ١٩ / ٢٥٢.
(٦) شرح ابن ميثم، ٥ / ٤٠٨.

١٢٤ ـ الدّهرُ يَوْمانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ؛ فَإِذَا كانَ لَكَ فَلاَ تبْطَرْ، وَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ[١].

قد ذكر هذا المعنى في كلمات الفصحاء وأشعار الشعراء كثيراً، فمن كلامهم: الدهر يومان: يوم بلاء، ويوم رخاء. والدهر ضربان: حَبرة[٢] وعَبرة. والدّهر وقتان: وقت سرور، ووقت ثبور[٣].[٤]

ومن أشعارهم:[٥]

فيوم علينا ويوم لنا ... فيوم نساءُ ويوم نسرّ

وقال آخر:

هي طورا هجر وطورا وصال ... ما أمرّ الدّنيا وما أحلاها

إلىٰ غير ذلك.

١٢٥ ـ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا، وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا[٦].

أي خلقت للاستعداد فيها وبها لدرك ثواب الله في الآخرة، لا ليلتذّ بها الجاهلون.

قال أبو العلاء المَعرّيّ ـ مع ما كان يرمى به:

خُلِقَ النـاسُ للبقاء فضلَّتْ ... أمّـةٌ يحسبونهم للنَّفادِ

إنّـما يُـنْقَلون من دارِ أعـما ... لٍ إلىٰ دار شِقْوةٍ أو رَشادِ[٧]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٦.

(٢) الحبْرة: السرور والنعمة.

(٣) الثبور: الهلاك.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٦٤.

(٥) العقد الفريد ٣ / ٥٩.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٣.

(٧) شرح التنوير علىٰ سقط الزند ١ / ٣٠٦.

حرف الراء

١٢٦ ـ رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ ٱلْغُلاَمِ. ويروى: مِن مَشْهَدِ ٱلْغُلاَمِ[١].

جلد الغلام: قوّته. وخصّ الرأي بالشيخ، والجلد بالغلام لأنّ كلاً منهما مظنّة ما خصّه به، وإنّما قال: «رأي الشيخ أحبّ إليّ من جلد الغلام» لأنّ الشيخ كثير التجربة، فيبلغ من العدوّ برأيه ما لا يبلغ بشجاعته الغلام الحدث غير المجرّب، لأنّه قد يغرّر بنفسه فيهلك ويُهلك أصحابه، ولا ريب أنّ الرأي مقدّم على الشجاعة، ولذلك قال أبو الطيّب[٢].

الرأي قبل شجاعة الشُّجعانِ ... هو أوّلٌ وهي المحلّ الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مِرّةٍ ... بلغتْ من العلياء كلَّ مكانِ

١٢٧ ـ رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ[٣].

قال ابن أبي الحديد: قد وقع مثل هذا كثيراً، كما جرى لعبد الله بن

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٨٦

(٢) ديوانه بشرح البرقوقي ٤ / ٣٨٩.

(٣) في نهج البلاغة، الحكمة ١٠٧. و فيه: لا ينفعه.

المقفّع، وفضله مشهور، وحكمته أشهر من أن تذكر.

ثم ذكر كيفيّة قتله ومجمله أنّه كان كاتباً لعيسىٰ وسليمان ابني عليّ بن عبدالله بن عبّاس، وكتب لعبدالله بن عليّ عمّ المنصور كتاب أمان ليعرض على المنصور، ويوجد فيه خطّه، فكان من جملته:

ومتى غدر أمير المؤمنين بعمّه عبدالله، أو أبطن غير ما أظهر، أو تأوّل في شيء من شروط هذا الأمان فنساؤه طوالق، ودوابّه حُبس، وعبيده وإماؤه أحرار، والمسلمون في حلّ من بيعته.

فاشتدّ ذلك على المنصور، فكتب إلىٰ عامله بالبصرة سفيان بن معاوية يأمره بقتله.

وكيفيّة قتله أنّه كان سفيان عليه ساخطاً لأنّه قال يوماً له: يا بن المغتلمة! فدخل ابن المقفّع يوماً على سفيان، وعنده غلمانه وتنّور نارٍ يسجر، فقال له سفيان: أتذكر يوماً قلتَ لي كذا وكذا! أمي مغتلمة، إنْ لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد؛ ثمّ قطع أعضاءه عضواً عضواً، وألقاها [في النار] وهو ينظر إليها، حتّى أتى على جميع جسده، ثمَّ أطبق التنور عليه...[1].

١٢٨ ـ الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمانِ: إِثْمُ ٱلْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضا بِهِ[2].

وجه التشبيه اشتراكهم في الرضا به المستلزم للعمل إليه، ونفّر عن الدخول في الباطل بما يلزمه من الإثمين: أحدهما من حيث إنّه أراد القبيح، والآخر من حيث إنّه فعله.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٤.

١٢٩ ـ الرَّحِيلُ وَشِيكٌ[(١)].

الوشيك: السريع، والمراد من الرحيل ها هنا الرحيل عن الدّنيا وهو الموت.

ومن كلامه عليه السلام: كان كثيراً ما ينادي به أصحابه:

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأقِلُّوا ٱلْعُرْجَةَ[(٢)] عَلى الدنيا، وَٱنْقَلِبُوا بِصَالِحِ ما بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ[(٣)].

١٣٠ ـ رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ[(٤)].

قالوا في المثل: الرسول على قدر المرسِل[(٥)].

وقال الشاعر:[(٦)]

تَخيَّرْ إذا ما كنت في الأمر مرسِلاً ... فمبلغ آراء الرجال رسولُها

وروِّ وفكِّرْ في الكتاب فإنّما ... بأطراف أقلام الرجال عقولُها

وأمّا أنّ الكتاب أبلغ من ينطق عنه فلضبط مراده فيه دون لسان الرسول، لأنّه ربّما لم يؤدّ الرسالة على وجهها سهواً أو لغرض، فيقع الخلل بسبب ذلك، وربّما قد يكون فيه هلاك المرسِل.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٧.

(٢) قال في مجمع البحرين ٢ / ٣١٨ ـ مادّة عرج: وأقلّوا العرجة ـ بالضمّ ـ، أي الإقامة.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٤، ص ٣٢١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٠٧.

(٦) نفس المصدر السابق.

١٣١ ـ رُدُّوا ٱلْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لاَيَدْفَعُهُ إلاّ الشَّرُّ[١].

الحجر كناية عن الشرّ، وردّه من حيث جاء كناية عن مقابلة الشرّ بمثله، ولا ريب أنّ هذا ليس عامّاً لأمره بالحلم في مواضع كثيرة، بل كلّ ما لا يقطع إلاّ بالشرّ فواجب أن يقطع به.

وهذا مثل قولهم: إنّ الحديد بالحديد يُفلَح[٢].

قال الشاعر:[٣]

فلمّا صرّح الشرّ	فأمسى وهو عريانُ
ولم يبقَ سوى العدوا	نِ دِنّاهم كما دانُوا
وبعض الحلمِ عند الجهـ	ـلِ للذّلّة إذْعانُ
وفي الشرّ نجاة حيـ	ـنَ لا يُنجيك إنسانُ

وفي وصايا النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ لأبي ذرّ رضي الله عنه: كن ذئباً وإلاّ أكلتْك الذئابُ[٤].

١٣٢ ـ رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبُوطٍ في أَوَّلِ لَيْلَةٍ قَامَتْ بَوَاكِيهِ في آخِرِهِ[٥].

الغرض التنبيه من رقدة الغفلة والمعنى ظاهر.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣١٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٢١.

(٣) هو الفند الزماني، انظر شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٢١.

(٤) في تحف العقول، باب قصار مواعظ النبي صلى الله عليه وآله الموعظة ١٤٠: يأتي على الناس زمان يكون الناس فيه ذئاباً. فمن لم يكن ذئباً اكلته الذئاب.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٠ وفي الديوان المنسوب إلىٰ أمير المؤمنين، ص ٦٩:

فكم من صحيح مات من غير علةٍ	وكم من عليل عاش دهراً إلىٰ دهرِ
وكم من فتىً يمسي ويصبح آمناً	وقد نسجت اكفانه وهو لا يدري

ومثله قول الشاعر:[١]

يـا راقـد الليـل مسـروراً بأوّله   إنّ الحوادث قد يطرقن أسحارا

ومثله:[٢]

لا يَـغُرَّنْكَ عِشـاءٌ سـاكـنٌ   قد يوافي بالمنيّات السَّحَرْ

وقال السعدي:[٣]

شخصى همه شب بر سر بيمار گريست

چون روز آمد، بمرد وبيمار بزيست

وقال آخر:[٤]

كـم سـالمٍ صـيحَتْ بـه بـغتةً   وقـائلٍ عـهدي بـه البـارحـهْ

أمسـى وأمست عـنده قـينة   وأصـبحتْ تـندبه النـائحهْ[٥]

طـوبى لمـن كـان مـوازيـنه   يـوم يـلاقي ربّـه راجـحهْ

١٣٣ ـ الرُّكُونُ إلىٰ الدُّنْيا مَعَ مَا تُعايِنُ مِنْها جَهْلٌ، وَالتَّقْصيرُ في حُسْنِ ٱلْعَمَلِ إذَا وَثِقْتَ بِالثَّوابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إلىٰ كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ ٱلاخْتبارِ لَهُ عَجْزٌ[٦].

لا ريب أنّ الطمأنينة إلىٰ من لا يعرف ولم يختبر، عجز أي عجز في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٢١.

(٣) كليات سعدي، ص ١١٦ وقال أبو العتاهية:

فكـن مسـتعداً لريب المنون   فـإنّ الذي هـو آتٍ قـريب

وقبلك داوى الطبيب المـريض   فعاش المريض ومات الطبيب

(العقد الفريد ٣ / ١٤)

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٦٢.

(٥) القينة: الأمة.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٤.

العقل والرأي، فإنّ الوثوق مع التجربة فيه ما فيه، فكيف قبل التجربة!

قال الطغرائيّ:

«وحسنُ ظنّكَ بالأيّام مَعْجَزَةٌ»[١]

قال الشاعر:[٢]

وكـنتُ أرى أنّ التـجارب عُدّةٌ
فخانت ثقات الناس حين التجارب

١٣٤ ـ رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ[٣].

أي قد يبلغ الأنسان بالقول ما لا يبلغه بالشدّة والصولة، فيكون القول أنفذ في غرضه.

ومن هذا قولهم: والقول ينفذ ما لا تنفذُ الإِبَرُ[٤].

وروي مكان أنفذ، أشدّ[٥]. والمعنى: ربّ قول يقوله الإنسان، فيكون ضرره عليه أشدّ من صولة عدوّه، أو ربّ قول يسمعه من غيره كقذف أو هجر مثلاً يكون أشدّ عليه من صولة العدوّ وهذا كما قال القائلُ:[٦]

جِراحات السِّنانِ لها التيامُ ... ولا يَلْتامُ ما جرح اللسانُ

---

(١) قد مضىٰ آنفاً في شرح الكلمة ٢٦، فراجع.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٢٥.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٥٩.

(٥) شرح ابن ميثم ٥ / ٤٣٨.

(٦) قال العلامة الشريف الأردكاني في جامع الشواهد، ص ١١٩: «لم يسمّ قائله، والبيت من شواهد الجامي في النحو».

ومثله قول الحمدوني:

وقد يرجىٰ لجرح السيف بُرءٌ بُردٌ ... ولا بُرءٌ لما جرح اللسان

(العقد الفريد ٢ / ٢٨٠.

١٣٥ ـ الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ؛ فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ ٱلْمَوْتُ حَتّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ ٱلآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ(١).

هذا تحريض على طلب الآخرة، ووعد لمن طلبها بأنّه سيكفي طلب الدّنيا، وإنّ الدنيا ستطلبه حتّى يستوفي رزقه منها.

وقد قيل: مَثَل الدّنيا مَثل ظلّك، كلّما طلبْتَهُ بَعُدَ عنك، فإن أدبرت عنه تبعك(٢).

ولهذا قال ـ عليه السلام ـ كما في الديوان المنسوب إليه:

«إنّما الدّنيا كظلٍّ زائلٍ»(٣)

١٣٦ ـ رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ(٤).

طالما فُتن الناس بثناء الناس، فقصّروا في تكميل الفضائل، كما رأينا كثيراً من طلبة العلم قصّر في اكتساب العلم اتّكالاً على ثناء الناس عليه، وهكذا العابد في عبادته، فينبغي أن لا يغترّ الإنسان بثناء الناس، ولا أعجب بنفسه فيهلك، ولهذا ورد:

احثوا في وجوه المدّاحين التراب(٥).

---

(١) في نهج البلاغة، الحكمة ٤٣١: رزقه منها.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٧٦.

(٣) البيت بتمامه:

انــما الدنــيا كـظل زائــل ... أو كضيف بات ليلاً فارتحل

ديوانه / ٩٠.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٢.

(٥) بحار الأنوار ٧٣ / ٢٩٤، نقلاً عن امالي الصدوق.

حرف الزاء

١٣٧ ـ الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ ٱلْقُرْآنِ: قال ٱللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوا عَلى مَا فَاتَكُمْ، وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[١]، وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى ٱلْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ[٢].

ويناسب هنا نقل كلام له عليه السلام كتبه إلىٰ ابن عبّاس[٣].

١٣٨ ـ زُهْدُك فِي راغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ[٤].

أي نقصان حظّ لك، لأنّه ليس مِن حقّ مَن رغب فيك أن تزهد فيه، لأنّ الإحسان لا يُكافأ بالإساءة.

---

(١) سورة الحديد (٥٧) / ٢٣.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٩.

(٣) لعل مراد المؤلف رحمه الله هذا الكتاب: اما بعد، فإنّ المرء قد يسرّه درك مالم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت مالم يكن ليدركه فليكن سرورك بمانلت من آخرتك، وليكن اسفك على ما فاتك منها، ومانلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً، وليكن همّك فيما بعد الموت كان ابن عباس يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام.(نهج البلاغة، الكتاب ٢٢، ص ٣٧٨).

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥١.

قال العبّاس بن الأحنف في نسيبه، وكان جيّد النسيب:

مــــازلتُ أزهــد فـي مـودّة راغبٍ
حـــتّى ابــتُليتُ بـرغبةٍ فـي زاهـدِ

هــذا هـو الداء الذي ضـاقت بـه
حيل الطبيب وطال يأسُ العـائدِ[1]

يقول المؤلّف، العبّاس بن محمّد رضا القمّيّ (عـفي عـنه) :ومـا أشـبه حالي بحال العبّاس!

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ١٠١.

حرف السين

١٣٩ ـ سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ [عند الله] مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ[١].

لأنّ السيئة الّتي تسوءه مستلزمة للندم والتوبة عليها، والتوبة ماحٍ لها، مع أنّ التوبة والرجوع إلىٰ الله تعالى فضيلة ندب الشارع لها بخلاف الحسنة المستعقبة للعجب.

١٤٠ ـ السَّخَاءُ مَا كانَ ٱبْتِدَاءً، فَإِذَا كان[٢] **عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَياءٌ وَتَذَمُّمٌ**[٣].

التذمّم:الاستنكاف. والسخاء عبارة عن ملكة بذل المال لمن يستحقّه بقدر ما ينبغي ابتداءً عن طيب نفس، وحسن المواساة لذوي الحاجة منه، وبهذا الرسم يتبيّن أنّ ما كان عن مسألة فخارج عن رسم السخاء.

وذكر عليه السلام له سببين: أحدها: الحياء من السائل، أو من الناس، فيتكلّف البذل لذلك.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦.

(٢) في النهج: فأما ما كان.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٥٣.

الثاني: الاستنكاف ممّا يصدر من السائل من لجاج أو نسبته إلىٰ البخل ونحوه.

ويعجبني في هذا المقام ذكر هذا الشعر:

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله

عوضاً ولو نال الغنى بسؤالِ

وإذا النّوالُ إلىٰ السؤال قرنْتَهُ

رجح السؤالُ وخفَّ كلُّ نَوالِ[١]

١٤١ ـ سُوسُوا إِيمانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكاةِ، وَادْفَعُوا أَمْواجَ الْبَلاءِ بِالدُّعَاءِ[٢].

سوسوا: أي املكوا. وذلك أنّ الصدقة من الإيمان التامّ مملكه وحفظه لا يكون بدونها، وقد ورد في الصدقة والزكاة والدعاء ما لا يخفىٰ.

وفي الحديث: إنّ الدعاء يردّ البلاء وقد أبرم إبراماً[٣].

١٤٢ ـ السُّلْطانُ وَزَعَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ[٤].

الوازع عن الشيء: الكافّ عنه، والمانع منه، والجمع: وزعة، مثل قاتل وقتلة.

وقد قيل هذا المعنىٰ كثيراً، قالوا: لابدّ للناس من وزعة[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٨٤.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٦.

(٣) الكافي ٢ / ٤٦٩.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٤٤.

حرف الشين

١٤٣ ـ الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ[١].

استعار له لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة له إلىٰ مطلوبه كجناح الطائر.

١٤٤ ـ شَتَّانَ بَيْنَ[٢] **عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَعمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ**[٣].

شتّان بين العملين: أي بعد ما بينهما. والأوّل: العمل للدنيا، وتبعته هو ما يتبعه من الشقاوة الأخروية. والثاني: عمل الآخرة، وظاهر أنّ فيهما فرقاً عظيماً وبوناً بعيداً.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٦٣.

(٢) في النهج: ما بين.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٢١.

١٤٥ ـ شَارِكُوا الَّذِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ[١]، فإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنىٰ، وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ ٱلْحَظِّ[٢].

أخلق وأجدر: أي أولىٰ. ولمّا كان إقبال الرزق بتوافق أسبابه في حق من أقبل عليه، كانت مشاركته مظنّة إقبال حظّ الشريك، وإقبال الرزق عليه بمشاركته.

١٤٦ ـ شَرُّ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ[٣].

أي من أحوج إلىٰ الكلفة له. وذلك لأنّ الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط وترك التكلّف، فإذا احتيج إلىٰ التكلّف له فقد دلّ ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق، ومن ليس بأخ صادق فهو من شرّ الإخوان.

---

(١) في النهج: شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق.

(٢) في نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٠، باقبال الحظّ عليه.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤٧٩.

قال الرضي ﷺ: لأن التكليف مستلزم للمشقة، وهو شر لازم عن الاخ المتكلف له فهو شر الاخوان. (نهج البلاغة، ص ٥٥٩).

حرف الصاد

١٤٧ ـ الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ[١].

النوع الأوّل أشقّ من النوع الثاني؛ لأنّ الأوّل صبر على مضرّة نازلة، والثاني صبر على محبوب متوقّع لم يحصل.

سئل بزرجمهر في بليّته عن حاله، فقال: هوّن عليّ ما أنا فيه فكري في أربعة أشياء: أوّلها أنّي قلت: القضاء والقدر لابدّ من جريانهما، والثاني أنّي قلت: إن لم أصبر فما أصنع! والثالث أنّي قلت: قد كان يجوز أن تكون المحنة أشدّ من هذه! والرابع أنّي قلت: لعلّ الفرج قريب![٢]

١٤٨ ـ الصَّلاَةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَٱلْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ. وَلِكُلِّ شَيءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ ٱلْبَدَنِ الصَّوْمُ،[٣] **وَجِهَادُ ٱلْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ**[٤].

إنّما كان الحجّ جهاد الضعيف لما فيه من مشقّة السفر، ومجاهدة

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٥٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٨٩.

(٣) في النهج: الصيام.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٦.

الطبيعة، ومقاومة النفس الأمّارة بالسوء، وخصّ الضعيف بذلك لأنّ للقويّ جهاد آخر هو المشهور.

وأمّا أنّ الصوم زكاة البدن، فلما فيه من تنقيص قوّته وكسر شهوته لغاية طاعة الله والثواب الأخرويّ، كما أنّ الزكاة تنقيص في المال مستلزم لزيادة الثواب في الآخرة.

وأمّا أنّ جهاد المرأة حسن التبعّل، فمعناه حسن معاشرة بعلها وحفظ ماله وعرضه، وطاعته فيما يأمر به وينهى عنه، وترك الغيرة ونحو ذلك.

قيل أوصت امرأة ابنتها ـ وقد أهدتْها إلىٰ بعلها ـ فقالت: كوني له فراشاً، يكن لكِ معاشاً، وكوني له وِطاء، يكن لكِ غطاءً، وإيّاكِ والإكتئاب إذا كان فَرِحاً، والفرح إذا كان كئيباً، ولا يطّلعنّ منكِ على قبيح، ولا يشمّنّ منكِ إلاّ طيّب ريح[1].

١٤٩ ـ صِحَّةُ ٱلْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ ٱلْحَسَدِ[2].

معناه أنّ القليل الحسد لا يزال معافىً في بدنه، والكثير الحسد يمرضه ما يجده في نفسه من مضاضة المُنافسة، وما يتجرّعه من الغيظ، ومزاج البدن يتبع أحوال النفس.

ولقد أحسن الشيخ الشيرازيّ:[3]

الا تا نخواهى بلا بر حسود

كه آن بخت برگشته خود در بلاست

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٣٣.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٦.

(٣) كليات سعدي ٢٠٩.

چه حاجت كه با او كنى دشمنى
كه او را چنين دشمنى در قفاست

١٥٠ ـ صَاحِبُ السُّلْطانِ كَراكِبِ ٱلأَسَدِ: يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوضِعِهِ[(١)].

أي يتمنّى موقعه وهو يعلم أنّه في غاية من المخاطرة بالنفس والتعزير بها.

وقريب منه قولهم: صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس، وهو لمركوبه أهيب[(٢)].

١٥١ ـ صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَل: يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، ويُدْبِرُ بِإِدْبَارِهَا [ويذهب بذهابها ـ خ ل][(٣)].

حكي أنّه اجتمع بنو برمك عند يحيى بن خالد في آخر دولتهم وهم يومئذٍ عشرة، فأداروا بينهم الرأي في أمر فلم يصلح لهم، فقال يحيى: إنّا لله! ذهبتْ واللهِ دولتنا! كنّا في إقبالنا يبرم الواحد منّا عشرة آراء مشكلة في وقت واحد، واليوم نحن عشرة في أمر غير مشكل، ولا يصحّ لنا فيه رأي! نسأل الله حسن الخاتمة[(٤)].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٣.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١٤٩.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٩.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٥٤.

حرف الضاد

١٥٢ ـ ضَعْ فَخْرَكَ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ[١].

قيل لحكيم: ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان فخراً [صدقا ـ ظ]؟ قال: مدح الإنسان نفسه[٢].

---

(١) نهج البلاغة، ٣٩٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩/ ٢٥٣.

حرف الطاء

١٥٣ ـ الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ[١].

استعار لفظ الرقّ للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبّد للمطموع فيه، والخضوع له كالرقّ، وتأييده باعتبار دوام التعبّد بسببه؛ فإنّ الطامع دائم العبوديّة لمن يطمع فيه مادام طامعاً.

قال الشاعر:

تعفّف وعِشْ حُرّاً ولا تك طامعاً
فما قطّع الأعناقَ إلاّ المطامعُ[٢]

وفي المثل: أطمع من أشعب؛[٣] رأى سلاّلاً يصنع سلّة، فقال له:

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٤١٣.

(٣) قال الميداني في مجمع الامثال ٢ / ٣٠١: هو رجل من المدينة يقال اشعب طماع، و هو اشعب بن جبير مولى عبدالله بن الزبير وكنيته ابو العلاء.

أوسِعْها. قال: مالكَ وذاك؟ قال: لعلّ صاحبها يُهدي لي فيها شيئاً[١].

وقيل: لم يكن أطمع من أشعب إلاّ كلبه؛ رأى صورة القمر في البئر فظنّه رغيفاً، فألقى نفسه في البئر يطلبه، فمات[٢].

١٥٤ ـ الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ[٣].

قال الشاعر:[٤]

واليأس إحدى الراحتين ولن ترى

تعباً كظنّ الخائب المكدودِ

ومن الكلمات المشهورة قولهم: عزّ من قنع، وذلّ من طمع[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٤١٣.

(٢) نفس مصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٦.

(٤) هو البحتري: انظر ديوانه، ١ / ١٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٥٠.

حرف الظاء

١٥٥ ـ الظَّفَرُ بِالحَزْمِ، وَٱلْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ ٱلْأَسْرارِ[١].

الحزم أن يقدّم العمل في الحوادث الواقعة في باب الإمكان قبل وقوعها بما هو أقرب إلىٰ السلامة، وأبعد من الغرور.

وإجالة الرأي: إعماله. وتحصين الأسرار: كتمانها.

أشار إلىٰ المبدأ القريب للظفر وهو الحزم، وإلىٰ البعيد منها وهو كتمان السرّ، وإلىٰ الوسط منها وهو إجالة الرأي.

قالوا: إذاعة السرّ من قلّة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان، والسبب في أنّه يصعب كتمان السرّ أنّ للإنسان قوّتين: إحداهما آخذة، والأخرىٰ معطية، وكلّ واحدة منهما تتشوّق إلىٰ فعلها الخاصّ بها، فعلى الإنسان أن يمسك هذه القوّة ولا يطلقها إلاّ حيث يجب إطلاقها[٢].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٧٧ ـ ١٧٨.

حرف العين

١٥٦ ـ عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ[١].

سعادة الجدّ عبارة عن حسن البخت وتوافق أسباب المصلحة في حقّ الإنسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذائل، وبحسب دوام ذلك يدوم سترهما.

سمع من امرأة من الأعراب تُرقص ابناً لها فتقول له: رزقك الله جَدّاً يخدمك عليه ذوو العقول، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوي الجدود[٢].

١٥٧ ـ العَفَافُ زِينَةُ ٱلْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ ٱلْغِنَى[٣].

العفاف: العفّة. وهي فضيلة القوّة الشهويّة، والفقير إذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعيّة، كملت نفسه بفضيلة العفّة، وزان فقره بفضيلته في أعين المعتبرين، وإذا أهملها وأسلس قيادها تقحّمت به في

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٥١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٨٢.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٦٨.

موارد الهلكة، وقادته إلىٰ الحرص والهلع، والحسد والمنى والكدية، وحصل بسببها في أقبح صورة.

وأنشد الأصمعيّ لبعضهم:

أُقسم بالله لمصُّ النوى وشربُ ماء القُلُب المالحهْ

أحسنُ بالإنسان من ذُلِّهِ ومن سؤال الأوجه الكالحهْ

فاستغن بالله تكن ذا غنىً مُغْتبطاً بالصفقة الرابحهْ

طوبىٰ لمن يصبح ميزانه يوم يلاقي ربّه راجحهْ[1]

وقال بعضهم: وقفت على كنيفٍ وفي أسفله كنّاف، وهو ينشد:

وأُكرمُ نفسي عن أمورٍ كثيرةٍ
ألا إنّ إكرام النفوس من العقلِ

وأبخل بالفضل المبين على الأولى
رأيتهم لا يكرمون ذوي الفضلِ

وما شانني كنْس الكنيف وإنّما
يَشينُ الفتى أن يَجتدي نائل النذْلِ[2]

وأقبحُ ممّا بي وُقوفي مؤمِّلاً
نَوالَ فتىً مثلي، وأيّ فتىً مثلي[3]

ونظير قوله عليه‌السلام: «والشكر زينة الغنى»، قولهم: العلم بغير عملٍ قولٌ باطل، والنعمة بغير شكر جيّدٌ عاطل[4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢١٣.

(٢) أي يطلب عطاء اللئيم. النذل ضد الشريف. منه رحمه‌الله.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢١٤.

١٥٨ ـ عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ ٱلاِسْتِغْفَارُ[١].

القنوط هو اليأس من الرحمة.

وورد: الاستغفار دواء الذنوب[٢].

وحكى عنه أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام أنّه قال: كان في الأرض أمانانِ مِن عذاب الله، فرُفع[٣] أحدُهما، فدونكمُ الآخرَ فتمسّكوا به: أمّا الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٤].

قال الرضيّ رحمه الله: وهذا من محاسن الاستخراج، ولطائف الاستنباط[٥].

١٥٩ ـ عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ ٱلْفَقْرَ ٱلَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ ٱلْغِنَى ٱلَّذِي إِيّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيا عَيْشَ ٱلْفُقَراءِ، وَيُحَاسَبُ فِي ٱلْآخِرَةِ حِسابَ ٱلْأَغْنِياءِ؛ وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ ٱلَّذِي كانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً، وَيَكُونُ غَداً جِيفَةً؛ وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي ٱللهِ، وَهُوَ يَرىٰ خَلْقَ ٱللهِ؛ وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ ٱلْمَوْتَ، وَهُوَ يَرىٰ مَنْ يَمُوتُ[٦]**؛ وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشأَةَ ٱلأُخْرىٰ، وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ ٱلْأُوْلَى؛ وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دارَ ٱلْفَناءِ وَتَارِكٍ دَارَ ٱلْبَقاءِ**[٧].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٨٧

(٢) ثواب الأعمال ١٩٧.

(٣) في النهج: وقد رفع.

(٤) سورة الأنفال (٨) / ٣٣.

(٥) نهج البلاغة، ص ٤٨٣.

(٦) في النهج: وهو يرىٰ الموتىٰ.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ١٢٦.

تعجّب عليه السلام من ستّة هم محلّ العجب، والغرض التنفير عن رذائلهم.

قيل: الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة الطعام الموضوع على قبر[١].

ورأى حكيم رجلاً مُثرياً يأْكل خبزاً وملحاً، فقال: لِمَ تفعل هذا؟

قال: أخاف الفقرَ، قال: فقد تعجّلته[٢].

وقوله عليه السلام: «عجبت لمن أنكر النشأة الأخرىٰ»الخ، أي عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وإعادة الأبدان بعد عدمها مع اعترافه بالنشأة الأولى وهي الوجود الأوّل للخلق من العدم الصرف، وظاهر أنّ هذا محلّ التعجّب؛ لأنّ الأخرى أهون، كما قال تعالىٰ:﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٣].

١٦٠ ـ عَظِّمِ ٱلْخالِقَ عِنْدَكَ يُصَغِّرِ ٱلْمَخْلُوقَ في عَيْنِكَ[٤].

هذا أمر وجده العارفون بالله؛ فإنّ من عرف عظمة الله وجلاله ولحظ جميع المخلوقات بالقياس إليه حتّى علم ما لها من ذواتها وهو الإمكان والحاجة، علم أنّها في جنب عظمته عدم، ولا أحقر من العدم. وشدّة صغر المخلوق في اعتبار العارف بحسب درجته في عرفانه.

قيل لبعض العارفين: فلان زاهد، فقال؛ فيماذا؟ فقيل: في الدّنيا، فقال: الدّنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فكيف يعتبر الزهد فيها؟ والزهد إنّما يكون في شيء والدّنيا عندي لا شيء[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣١٥.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) سورة الروم (٣٠) / ٢٧.

(٤) هكذا ضبطها الشارح رحمه الله ولكن في نهج البلاغة، الحكمة ١٢٩، ضبطت هكذا: عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك.

(٥) شرح ابن ميثم ٥ / ٣١١ ـ ٣١٢.

١٦١ ـ عَلَيْكُمْ بِطاعَةِ مَنْ لاَ تُعْذَرُونَ في جَهَالَتِهِ [بِجَهالَتِهِ ـ خ ل][١].

يمكن أن يكون أراد بالموصول «الله» تعالى، أو أراد به نفسه عليه السلام؛ لأنّه إمام واجب الطاعة بالنصّ، فلا يعذر أحد من المكلّفين في جهالة إمامته.

وقيل: هو إيجاب لطاعة من يجب طاعته من أئمّة الحقّ الّذين يجب العلم بحقيّة إمامتهم، ولا يعذر الناس في الجهل بهم لتعلّم قوانين الدين وأحكامه منهم[٢].

١٦٢ ـ عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ[٣].

أي اجعل مكان عتابه بالقول والفعل، الإحسان إليه والإنعام في حقّه؛ فإنّهما أنفع في دفع شرّه عنك، وعطف جانبه إليك. قال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ﴾[٤].

١٦٣ ـ عُجْبُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ[٥].

يعني أنّ الحاسد لا يزال مجتهداً في إظهار معايب المحسود وإخفاء محاسنه، فلمّا كان عجب الإنسان بنفسه كاشفاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٥ / ٣٣٣.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٨.

(٤) سورة فصلت (٤١) / ٣٤.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٢.

١٦٤ ـ اَلْعَجَبُ لِغَفْلَةَ اَلْحُسَّادِ، عَنْ سَلاَمَةِ اَلْأَجْسَادِ![١]

لما كان الغالب أنّ الحسد إنّما يكون بالغنى والجاه، وسائر قينات الدّنيا فترك الحسّاد الحسد بصحّة الجسد مع كونها أكبر نعم الدّنيا محلّ التعجّب.

١٦٥ ـ عَرَفْتُ اَللهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ اَلْعَزائِمِ، وَحَلِّ اَلْعُقُودِ[٢].

هذا أحد الطرق إلىٰ معرفة الباري سبحانه، وهو أن يعزم الإنسان على أمر، ويصمّم رأيه عليه، ثمّ لا يلبث أن يخطر الله بباله خاطراً صارفاً له عن ذلك الفعل، ولم يكن في حسابه، أي لو لا أنّ في الوجود ذاتاً مدبّرة لهذا العالمَ لما خطرت الخواطر التي لم تكن محتسبة.

١٦٦ ـ اَلْعُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اَللهُ فِيه إلىٰ اَبْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً[٣].

«أعذر الله فيه» أي سوّغ لابن آدم أن يعتذر، يعني أنّ ما قبل الستّين هي أيّام الصبا والشبيبة والكهولة، وقد يمكن أن يعذر الإنسان فيه على اتّباع هوى النفس لغلبة الشهوة، وشَرَه الحداثة، فإذا تجاوز الستّين دخل في سنّ الشَّيْخُوخة، وذهبتْ عنه غُلواء شهرته، فلا عذر له في الجهل.

وقد قالت الشعراء نحو هذا المعنى في دون هذا الّتي عيّنها عليه السلام.

قال بعضهم:

إذا ما المرء قصّر ثمّ مرّتْ ... عليه الأربعون عن الرجالِ
ولم يَلحق بصالحهم فَدَعْهُ ... فليس بلاحقٍ أخرى اللّيالي[٤]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٥.

(٢) في نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٠، زيادة: «ونقض الهمم».

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٣٨.

وقال الشيخ الشيرازيّ بالفارسيّة:[١]

چو دوران عمر از چهل درگذشت

مزن دست وپاکابت از سر گذشت

نزيبد مرا با جوانان چميد

كه بر عارضم صبح پيرى دميد

١٦٧ ـ اَلْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ، وَلا يَنْفعُ اَلْمَسْمُوعُ إِذا لَمْ يَكُنِ اَلْمَطْبُوعُ[٢].

المراد من المطبوع هو العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم الضروريّة للانتقال منها إلىٰ العلوم المكتسبة والمسموعة من العلماء، فإذا لم يكن هناك استعداد لم ينفع الدرس والتكرار.

وقد ذكر الغزّاليّ في أقسام العلوم هذين القسمين أيضاً، ثم قال: وكلا القسمين قد يسمّى عقلاً، قال علي عليه السلام:[٣]

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

١٦٨ ـ عِنْدَ تَنَاهي الشِّدَّةِ تكوُنُ اَلْفَرْجَةُ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ اَلْبَلاَءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ[٤].

الفرجة ـ بفتح الفاء ـ: التفصّي من الهمّ، قال الشاعر:

---

(١) كليات سعدي، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٨.

(٣) إحياء علوم الدين ١ / ٧٦، في بيان حقيقة العلم وأقسامه.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥١.

ربّـما تـجزع النـفوس مـن الأمـ ـرِ له فَـرجـةٌ كـحل العـقال[١]

و من كلامه عليه السلام: إنّ للنكبات غايات[٢].

وكان يقال: إذا اشتدّ المَضيق، اتّسعت الطريق، ويقال أيضاً: توقّعوا الفرج عند ارتتاج المخرج[٣].

١٦٩ ـ اَلْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَاَلْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أجَابَ وَإلاَّ اَرْتَحَلَ[٤].

إنّ الله تعالى جعل للنفس العاقلة قوّتين: علميّة وعمليّة، وجعل كما لها باستكمال هاتين القوّتين بالعلم والعمل، ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل بل هو حجّة على صاحبه، وكذلك العكس.

قال عليه السلام: قصم ظهري رجلان؛ عالم متهتّك، وجاهل متنسّك[٥].

١٧٠ ـ اَلْعَيْنُ حَقٌّ، وَالرُّقى حقٌّ، والسِّحْرُ حَقٌّ، والطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ، وَاَلْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحقٍّ، وَالطِّيبُ نُشْرَةٌ، وَاَلْعَسَلُ نُشْرَةٌ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ، وَالنَّظَرُ إلىٰ اَلْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ[٦].

ويروى: «الغسل نشرة» بالغين المعجمة، أي التطهير بالماء[٧].

وفي الحديث: العين حقّ، ولو كان شيء يسبق القَدَر لسبقته العين[٨].

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، الصحاح ١ / ٣٣٤ ـ فرج.

(٢) تحف العقول، باب قصارى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، الحديث ١٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٦٧.

(٤) في نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٦: فإن أجابه وإلاّ ارتحل عنه.

(٥) منية المريد ١٨١.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠٠.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٧٢.

(٨) المصدر السابق.

والإصابة بالعين هي أن تستحسن النفس صورة مخصوصة وتتعجّب منها، وتكون تلك النفس خبيثة جدّاً؛ فينفعل جسم تلك الصورة مطيعاً لتلك النفس كما ينفعل البدن للسمّ.

وحكي أنّ علماء الفرس والهند وأطباء اليونانيّين ودهاة العرب وأهل التجربة يكرهون الأكل بين يدي السباع يخافون عيونها للّذي فيها من النّهم والشره، ولما ينحلّ عند ذلك من أجوافها من البخار الرديء، وينفصل من عيونها ممّا إذا خالط الإنسان نقض بنية قلبه وأفسده. وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذابّ[١] والأشربة على رؤوسهم خوفاً من أعينهم وشدّة ملاحظتهم إيّاهم، وكانوا يأمرون بإشباعهم قبل أن يأكلوا، وكانوا يقولون في الكلب والسنّور إمّا أن يطرد أو يشغل بما يطرح له[٢].

وقالت الحكماء: نفوس السباع أردأ النفوس وأخبثها لفرط شَرَهها وشرّها[٣].

وعن الكافي مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الكلاب من ضعفة الجنّ، فإذا أكل أحدكم الطعام وشيء منها بين يديه فليطعمه أو ليطرده فإنّ لها أنفس سوء[٤].

وعن الأصمعيّ، قال: رأيت رجلاً عيوناً[٥] كان يذكر عن نفسه أنّه إذا أعجبه الشيء وجد حرارة تخرج من عينه[٦].

---

(١) جمع المذبة وهو ما يذب به الذباب. منه رحمه الله.
(٢) كتاب الحيوان، للجاحظ ٢ / ١٣١ ـ ١٣٢.
(٣) نفس المصدر ٢ / ١٣٢.
(٤) الكافي ٦ / ٥٥٣، الحديث ٩.
(٥) أي الشديد الإصابة بالعين.
(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٧٧.

وقد حكي من تأثير العين آثار عجيبة؛ منه ما نقل أنّه سمع عيون صوت بول من وراء جدار حائط، فقال: إنّك كثير الشخب، فقالوا: هو ابنك؛ فقال: أوه انقطع ظهره! فقيل: لا بأس عليه إن شاء الله، فقال: والله لا يبول بعدها أبداً، فما بال حتّى مات[١].

والكلام في كلّ ذلك يخرج عن وضع الكتاب، وقد أطنب الفاضل ابن أبي الحديد في شرحه لهذا الكلام وذكر حكايات كثيرة تتعلّق بالطير والفأل ونكتاً ممتّعة من مذاهب العرب وتخيُّلاتها وخرافاتها والأعاجيب الكثيرة من اعتقاداتها، من أرادها فليراجع ثمّة[٢].

والنشرة كالعوذة والرقية، نشّرت فلاناً تنشيراً، أي رقَيْتُه وعوّذتُه[٣].

١٧١ ـ عَلاَمَةُ[٤] ٱلأيمانِ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلى ٱلْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَأَنْ لاَ يَكُونَ في حَدِيثَكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ[٥] وَأَنْ تَتَّقِيَ ٱللهَ في حَدِيثِ غَيْرِكَ[٦].

ينبغي أن يكون هذا الحكم مقيّداً لا مطلقاً، أي إذا كان الضرر غير عظيم؛ لأنّه إذا أضرّ الصدق ضرراً عظيماً يؤدّي إلىٰ تلف النفس أو قطع العضو لم يَجُزْ فعله صريحاً، ولزمت المعاريض حينئذ.

قوله عليه السلام: «وأن تتّقي الله في حديث غيرك»، قيل: أراد به أن يحتاط

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٧٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٧٢ ـ ٤٢٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٤٢٩.

(٤) ليست كلمة «علامة» في النهج.

(٥) في النهج: عن عملك.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٨.

في النقل والرواية فيرويه كما سمعه من غير تحريف[١].

١٧٢ ـ ٱلْعَيْنُ وِكَاءُ السَّتَهِ[٢].

قال السيّد رحمه الله: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنّه شبّه السته بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء. وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام، وذكر ذلك المبرّد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف[٣].

وقد تكلّمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية.[٤] انتهى.

استعار عليه السلام لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الإنسان في يقظته لنفسه من أن يخرج منه ريح ونحوها كما يحفظ الوكاء ما يوكى به، وفي ذلك ملاحظة تشبيه السته بالوعاء كالقربة.

ومن تمام الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: فإذا نامت العينان استطلق الوكاء[٥].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ١٧٥.

(٢) في نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٦؛ وكاء السه.

(٣) في النهج: اللفظ بالحروف.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٥٧.

(٥) شرح ابن ميثم ٥ / ٤٦٢.

حرف الغين

١٧٣ ـ ٱلْغِنىٰ في ٱلْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَٱلْفَقْرُ في ٱلْوَطَنِ غُرْبَةٌ[١].

قال رجل لسقراط:[٢] ما أشدّ فقرك أيّها الحكيم؟ قال: لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجّع لنفسك عن التوجّع لي،الفقر ملك ليس عليه محاسبة[٣].

قال بعض الحكماء: ألا ترون ذا الغنى ما أدوم تَعبه، وأقلّ راحته، وأخسّ من ماله حظّه، وأشدّ من الأيام حذره، وأغرى الدهر بنقصه وثلمه! وقد بعث الغنى عليه من سلطانه العناء، ومن أكفائه الحسد، ومن أعدائه البغي، ومن الحقوق الذمّ، ومن الولد الملامة وتمنّي الفقدان، لا كذي البلغة فقنع فدام له السرور[٤].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٥٦.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد: لبقراط.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩١.

وقالوا: حسبك من شرف الفقر أنّك لا ترى أحداً يعصي الله ليفتقر؛ أخذه الشاعر فقال:[١]

يا عائب الفقر ألا تَزْدَجِرْ عَيْبُ الغِنى أكبر لو تَعتبرْ
إنّك تعصي الله تبغي الغِنى وليس تعصي كي تفتقرْ

١٧٤ ـ غَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمانٌ، وَغَيْرَةُ ٱلْمَرْأَةِ كُفْرٌ[٢].

أمّا الأوّل فلأنّ غيرة الرجل يستلزم سخطه لما سخط الله من اشتراك رجلين في امرأة وذلك إيمان بخلاف المرأة فلأنّها تقوم بغيرتها في تحريم ما أحلّ الله وهو اشتراك مرأتين فما زاد في رجل واحد ويقابله بالردّ والإنكار وتحريم ما أحلّ الله وسخطه ما رضيه ردّ عليه وهو لا محالة كفر.

وأيضاً فإنّ المرأة قد تؤدّي بها الغيرة إلىٰ ما يكون كفراً على الحقيقة كالسحر، فقد ورد في الحديث: أنّه كفر[٣].

١٧٥ ـ ٱلْغِنَى ٱلأَكْبَرُ ٱلْيَأْسُ عَمَّا في أَيْدِي النَّاسِ[٤].

أشار بهذا إلىٰ ذمّ الطمع ومدح الناس وقد أكثر الناس في هذا المعنى نظماً ونثراً، وممّا يروى لعبدالله بن المبارك الزاهد:[٥]

قد أرحنا واسترحْنا مِن غُدُوٍّ ورَواحِ
واتّصالٍ بأميرٍ ووزيرٍ ذي سماحِ

(١) نفس المصدر ١٨ / ١٩٠.
(٢) في نهج البلاغة، الحكمة ١٢٤، تقديم وتأخير في الفقرتين.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣١٢.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٢.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٤٦.

بـــعفافٍ وكــفافٍ وقُـــنوعٍ وصــلاحِ
وجـعلنا اليأس مـفْتا حاً لأبـوابِ النـجاحِ

١٧٦ ـ ٱلْغِنَى وٱلْفَقْرُ بَعْدَ ٱلْعَرْضِ عَلَى ٱللهِ[١].

أي لا يعدّ الغني غنيّاً في الحقيقة، إلاّ من حـصل له ثـواب الآخـرة، ولا يعدّ الفقير فقيراً إلاّ من لم يحصل له ذلك، فـإنّه لا يـزال شـقيّاً مـعذّباً، وذاك هو الفقر بالحقيقة.

فأمّـا غـنى الدّنـيا وفـقرها عـرضيّان، زوالهـما سـريع، وانـقضاؤهما وشيك.

١٧٧ ـ ٱلْغِيبَةُ جُهْدُ ٱلْعَاجِزِ[٢].

أكثر ما تصدر الغيبة عن الأعداء و الحسّاد الذين يـعجزون عـن بـلوغ أغراضهم، وشفاء صدورهم فيعدلون إلىٰ إظهار المعايب لمـا يـجدون فـيه من اللّذّة.

ونفّر عنها بنسبة فاعلها إلىٰ العجز، وأنّها غاية جـهده ليأنـف مـن ذلك النقصان ولا يرضى به.

قيل للأحنف: من أشرف الناس؟ قال: من إذا حـضر هـابوه، وإذا غـاب اغتابوه[٣].

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٢.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦١.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ١٧٩.

حرف الفاء

١٧٨ ـ فَاعِلُ ٱلْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ[١].

وذلك لأنّ الخير والشرّ ليسا عبارة عن ذات حيّة قادرة، وإنّما هما فعلان، أو عدمان، أو مختلفان، فلو قطع النظر عن الذات الحيّة القادرة الّتي يصدران عنها، لما انتفع أحد بهما ولا استضرّ؛ فالنفع والضرر إنّما حصلا من الحيّ الموصوف بهما لا منهما على انفرادهما، فلذلك كان فاعل الخير خيراً من الخير، وفاعل الشرّ شرّاً من الشرّ.

قال ابن أبي الحديد:[٢]

خيرُ البضائِع للإنسان مكرمةٌ
تنمي وتزكو إذا بارتْ بضائعُهُ

فالخير خيرٌ وخيرٌ منه فاعلهُ
والشرّ شرّ وشرّ منه صانعُهُ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٤٩.

١٧٩ ـ فَقْدُ ٱلْأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ[١].

استعار لفظ الغربة لفقد الأحبّة باعتبار ما يلزمهما من الوحشة وعدم الإنس.

ومثله قوله عليه السلام: الغريب من ليس له حبيب[٢].

قال الشاعر:

إذا ما مضى القرن الذي كنت فيهم
وخُلّفتَ في قرنٍ فأنت غريب[٣]

١٨٠ ـ فَوْتُ ٱلْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلىٰ غَيْرِ أَهْلِهَا[٤].

قال كمال الدين بن ميثم: غير أهلها هم اللئام ومحدثوا النعمة وساقطوا الأصول، وإنّما كانت أهون لأنّ فوتها يستلزم غمّاً واحداً وأمّا طلبها إلىٰ غير أهلها فإنّما لا تحصل غالباً فيستلزم غمّ فوتها ثمّ ثقل الاستنكاف والندم [الذمّ ـ ظ] من رفعها إليهم ثمّ غمّ ذلّ الحاجة إلىٰ اللئام وله ألم عظيم، كما قال: الموت أحلى من سؤال اللئام. ثمّ غمّ ردّهم لها، وهي غموم أربعة. وكذلك إن قضيت كان فيها غمّ ثقل الاستنكاف، ثمّ ذلّ الحاجة إليهم فكان فوتها أهون على كلّ حال. وهذه الكلمة تجذب إلىٰ فضيلتي القناعة وعلوّ الهمّة.[٥] انتهى.

ومن كلامهم: لا تطلبوا الحوائج إلىٰ ثلاثة: إلىٰ عبد يقول: الأمر إلىٰ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٦٥.

(٢) في نهج البلاغة، الكتاب ٣١، ص ٤٠٤: الغريب من لم يكن له حبيب.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢١٠.

(٤) في نهج البلاغة، الحكمة ٦٦.

(٥) شرح ابن ميثم ٥ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

غيري، وإلى رجل حديث الغنى، وإلى تاجر همّته أن يستربح في كلّ عشرين ديناراً حبّة[١].

١٨١ ـ اَلْفَقِيهُ كُلُّ اَلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اَللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اَللهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اَللهِ[٢].

قلّ موضع من الكتاب العزيز يذكر فيه الوعيد إلاّ ويمزجه بالوعد، مثل أن يقول: «إِنَّه شَدِيدُ اَلْعِقَابِ» ثمّ يقول: «وَإِنَّـهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ»، فالفقيه التامّ في العلم من يعلم فقه وضع الكتاب العزيز وجذب الناس إلىٰ الله بوجوه من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والبشارة والنذارة ولم يكتف مثلاً على قوله تعالىٰ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اَللهِ إِنَّ اَللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٣] بل على قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اَللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ اَلْقَوْمُ اَلْخَاسِرُونَ﴾[٤].

١٨٢ ـ اَلْفَقْرُ اَلْمَوْتُ اَلأَكْبَرُ[٥].

أمّا كونه موتاً فلانقطاع الفقير عن مشتهياته ومطلوباته التي هي مادّة الحياة، وتألّمه لفقدها.

وأمّا أنّه أكبر فلتعاقب آلامه على الفقير مدّة حياته.

وأمّا ألم الموت ففي وقت واحد، وهو مبالغة في شدّته.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٥.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٩٠.

(٣) سورة الزمر (٣٩) / ٥٣.

(٤) سورة الأعراف (٧) / ٩٩.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٣.

١٨٣ ـ فِي تَقَلُّبِ ٱلْأَحْوالِ، عُلِمَ جَواهِرُ الرِّجالِ(١).

أي في تقلّب أحوال الدّنيا على المرء كرفعته بعد اتّضاعه وبالعكس، وكنزول الشدائد به، يعلم جوهره وباطنه من خير وشرّ وجلادة وضعف.

قال الشاعر:

لا تَحمدنَّ امرأً حتّى تجرّبه ... ولا تذمّنّه إلاّ بتجريبِ(٢)

١٨٤ ـ فِي ٱلْقُرْآن(٣) نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ.(٤)

الأقسام الثلاثة كلّها موجود في القرآن؛ فنبأ ما قبلهم أخبار القرون الماضية، وخبر ما بعدهم ذكر أحوال الموت والقيامة والوعد الوعيد وغيرها، وحكم ما بينهم بيان الأحكام الخمسة المتعلّقة بأفعالهم.

١٨٥ ـ ٱلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَٱلْاِعْتِبارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ(٥).

وفي المثل: كفى بالاعتبار منذراً، وكفى بالشيب زاجراً، وكفى بالموت واعظاً(٦).

وقال بعض الحكماء: إذا أحببت أخلاق امرىءٍ فكُنْه، وإن أبغضتها فلا تكُنْه. أخذه شاعر فقال:

إذا أعجبتْك خصالُ امرىءٍ ... فكُنْه يكنْ منك ما يعجبكْ

فليس على المجد والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يَحْجُبُكْ(٧)

---

(١) هكذا ضبطها الشارح، وفي نهج البلاغة، الحكمة ٢١٧ ضبطت هكذا: عِلْمُ جَواهِرِ الرجال.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٨.

(٣) في النهج: وفي القرآن.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣١٣.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٥.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٨٣.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٨٣.

حرف القاف

١٨٦ ـ **قُرِنَتِ ٱلْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ، وٱلْحَياءُ بِالْحِرْمانِ، وَٱلْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ ٱلْخَيْرِ**[1].

كانت العرب إذا أوفدت وافداً قالت له: إيّاك والهيبة، فإنّها خيبة، ولا تبت عند ذنَب الأمر وبِتْ عند رأسه[2].

١٨٧ ـ **قَدْرُ الرَّجُلِ عَلىٰ قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَصِدْقُهُ عَلىٰ قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وشَجاعَتُهُ عَلى قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وَعِفَّتُهُ عَلىٰ قَدْرِ غَيْرَتِهِ**[3].

اعلم أنّ كبر الهمّة خلق مختصّ بالإنسان فقط، وأمّا سائر الحيوانات فليس يوجد فيها ذلك، وإنّما يتجرّ أكلّ نوع منها الفعل بقدر ما في طبعه.

وعلوّ الهمّة حال متوسّطة بين التفتّح ـ وهو تأهل الإنسان لما لا يستحقّه ـ وبين دناءة الهمّة ـ وهو صغر الهمّة ـ أي تركه لما يستحقّه

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٣١.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤٧.

لضعفٍ في نفسه. ثمّ اعلم أنّ كبير الهمّة من لا يرضىٰ بالهمم الحيوانيّة، ولا يقنع لنفسه أن يكون عند رعاية بطنه وفرجه، بل يجتهد في معرفة صانع العالم ومصنوعاته، وفي اكتساب المكارم الشرعيّة ليكون من أولياء الله في الدنيا ومجاوريه في الآخرة.

١٨٨ ـ قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ[١].

جعل عليه السلام أصل طبيعة القلوب التوحّش، وإنّما تستمال لأمر من خارج وهو التألّف والإحسان.

وفي معنى كلامه قولهم: من لان استمال، ومن قسا نفّر، وما استُعبد الحرُّ بمثل الإحسان إليه[٢].

١٨٩ ـ اَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ[٣]

قال رجل لسقراط[٤] الحكيم ورآه يأكل العشب: لو خدمت الملك لم تحتج إلىٰ أن تأكل الحشيش، وقال له الحكيم: وأنت لو أكلت الحشيش لم تحتج أن تخدم الملك[٥].

وقد أخذ هذا المعنى شيخنا البهائيّ، ونظمه بالفارسيّة في كتاب «نان وحلوا»:[٦] نوجوانى از خواص پادشاه إلىٰ آخره.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٥٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٨٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٥٧.

(٤) في شرح ابن أبي الحديد: لبقراط.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٢.

(٦) تمام الحكاية هكذا (انظر «كليات شيخ بهائي»، ص ١٩):

نوجوانى از خواص پادشاه	ميشدى با حشمت و تمكين به راه
دل زغم خالى و سر پر از هوس	جمله اسباب تنعّم پيش و پس

ومن كلام الحكماء: قاوم الفقر بالقناعة، وقاهر الغنى بالتعفّف، وطاول عناء الحاسد بحسن الصنع، وغالب الموت بالذكر الجميل[(١)].

وقال الشاعر:[(٢)]

أنا كالثعبان جلدي ملبسي　　لست محتاجاً إلىٰ ثوب الجمالِ
فالخمول العِزّ واليأس الغنى　　والقُنوع المُلكُ هذا ما بدا لي

١٩٠ ـ قِيمَةُ كُلِّ امْرِىءٍ مَا يُحْسِنُهُ[(٣)].

قال الرضيّ: هذه الكلمة التي لا تُصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن اليها كلمة[(٤)].

الغرض من هذا الكلام التحريض والترغيب في أعلىٰ ما يكتسب من الكمالات النفسانيّة والصناعات ونحوها؛ فإنّ أرفع الناس في نفوس الناس منزلة أعظمهم كمالاً، وأنقصهم درجة أحسنهم فيما هو عليه من حرفة أو صناعة ونحو ذلك.

بر يكى عابد در آن صحرا گذشت　　كو علف مى‌خورد چون آهوى دشت
هر زمان در ذكر حى لا يموت　　شكر گويان كش ميسّر گشت قوت
نوجوان سويش خراميد و بگفت　　كاى شده با وحشيان در قوت جفت
سبز گشته چون زمرّد رنگ تو　　چونكه نايد جز علف در چنگ تو
شد تنت چون عنكبوت از لاغرى　　چون گوزنان چند در صحرا چرى
گر چو من تو خدمتكار شاه　　در علف خوردن نمى‌گشتى تباه
پير گفتش كاى جوان نامدار　　كت بود از خدمت شه افتخار
گر چو من تو نيز مى‌خوردى علف　　كى شدى عمرت در اين خدمت تلف

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٢.
(٢) البيت للغزّي، انظر شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٢٤٤.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٨١
(٤) نهج البلاغة، ص ٤٨٢.

١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ ـ قِلَّةُ ٱلْعِيَالِ أَحَدُ ٱلْيَسَارَيْنِ، وَالتَّوَدُّدُ نِصفُ ٱلْعَقْلِ، وَٱلْهَمُّ نِصْفُ ٱلْهَرَمِ[١].

اليسار الثاني كثرة المال؛ يقول عليه السلام: إنّ قلّة العيال مع الفقر كاليسار الحقيقيّ مع كثرتهم، فإنّ العيال أرضَة المال كما في أمثال الحكماء[٢].

وأمّا التودّد، وهو جميل المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة والمعاملة بين الناس على الظاهر، وهو نصف العقل أي العقل العمليّ، فلا يحتاج إلىٰ بيان.

وأمّا الهمّ نصف الهرم، فلأنّ الهرم إمّا طبيعيّ وإمّا لسبب من خارج وهو الهمّ والحزن والخوف المستلزم له، فهو اذن قسيم للسبب الطبيعيّ للهرم وقسم من أسبابه، فصار بمنزلة النصف له، أي نصف سبب الهرم.

١٩٤ ـ قَدْ بُصِّرْتُمْ إنْ أَبْصَرْتُمْ، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ ٱهْتَدَيْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ ٱسْتَمَعْتُمْ[٣].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَى عَلى ٱلْهُدىٰ﴾[٤].

وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الحكم ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٣٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٧.

(٤) سورة فصلت (٤١) / ١٧.

(٥) سورة البلد (٩٠) / ١٠.

١٩٥ ـ قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ[(١)].

هـذا الكـلام جـارٍ مـجرى المـثل ومـثله: والشـمس لا تـخفى عـن الأبصار[(٢)].

١٩٦ و ١٩٧ ـ قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى (مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ) مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ[(٣)].

لا ريب أنّ من أراد حفظ كتاب مثلاً، فحفظ منه قليلاً قـليلاً، ودام عـلى ذلك، فإنّ ذلك أنفع له وأرجى لفلاحه من أن يـحفظ كـثيراً ولا يـدوم عـليه لملاله إيّاه وضجره منه، والتجربة تشهد بذلك.

والقول في غير الحفظ كالقول في الحفظ، نـحو العـطاء اليسـير الدائـم الذي هو خير من الكثير المنقطع إلىٰ غير ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا الدين متين، فأوغِلْ فيه برفْق، فإنّ المـنبتّ لا أرضا قطع ولا ظَهْرا أبْقى[(٤)].

ويعجبني نقل كلام السعدي ـ ولو كان بالفارسيّة ـ هاهنا:[(٥)]

بـه چشـم خـويش ديـدم در بـيابان	كـه آهسـته سـبق بـرداز شـتابان
سـمند بـادپای از تک فـروماند	شـتربان هـمچنان آهسـته مـی‌رانـد

١٩٨ ـ قَطَعَ ٱلْعِلْمُ عُذْرَ ٱلْمُتَعَلِّلِينَ[(٦)].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٩٥.

(٣) انظر نهج البلاغة، الحكمتين ٢٧٨ و ٤٤٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٩٤.

(٥) كليات سعدي، ص ٢٠٢.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٤.

أي العلم بالدين وما بلّغه الرسول ﷺ من البشارة والنذارة، فإنّ ذلك قاطع لعذر من عساه يقول:

﴿انّا كُنّا عَنْ هذَا غَافِلِين﴾[١]، ويعلّلون أنفسهم بالباطل ويقولون: إنّ الربّ كريم رحيم، فلا حاجة لنا إلىٰ إتعاب أنفسنا بالعبادة.

١٩٩ ـ اَلْقَلْبُ مُصْحَفُ اَلْبَصَرِ[٢].

أي كما أنّ الإنسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه، كذلك إذا أبصر الإنسان صاحبه فإنّه يرى قلبه بوساطة رؤية الخطّ الذي في المصحف ما يدلّ الخطّ عليه. قال الشاعر:[٣]

إنّ العيون لتُبدي في تقلُّبها
ما في الضمائر من وُدٍّ ومن حَنَقِ[٤]

وقال آخر:[٥]

تُخبّرني العينان ما القلب كاتمٌ
وما جنّ بالبغضاء والنظر الشّزْرِ[٦]

---

(١) سورة الأعراف (٧) / ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٤٦.

(٤) الحَنَق: البغض.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٤٦.

(٦) نظر شَزْر: فيه إعراضا كنظر المعادي المبغض، وقيل: هو النظر بمؤخر العين. وأكثرما يكون النظر الشزر في حال الغضب. (لسان العرب ٧ / ١٠٧ ـ شزر)

حرف الكاف

٢٠٠ ـ كُنْ في ٱلْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ[١].

ابن اللّبون: ابن الناقة الذكر إذا استكمل السنّة الثانية ودخل في الثالثة، وهو لا يكون قد كمل وقوي ظهره على أن يركب، وليس بأُنثىٰ ذات ضرع فتُحلب وهو مطّرح لا ينتفعُ به.

وأيّام الفتنة هي أيّام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالّين يدعوان كلاهما إلىٰ ضلالة كفتنة عبد الملك وابن الزبير، وفتنة الحجّاج وابن الأشعث ونحو ذلك، فأمّا إذا كان أحدهما صاحب حقّ فليست أيّام فتنة كالجمل وصفّين ونحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحقّ ببذل المال والنفس.

وفي الكلام حذف، تقديره: له[٢].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١.

(٢) يعني: لا ظهر له فيركب، ولا ضرع له فيحلب.

٢٠١ ـ كُنْ سَمَحاً وَلاَ تَكُنْ مُبَذِّراً، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلاَ تَكُنْ مُقَتِّراً[١].

كلّ كلام جاء في هذا فهو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولةً إلىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْها كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[٢].

ونحو قوله: ﴿إنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إخْوانَ الشَّياطِينِ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ:﴿وَالَّذِينَ إذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَواماً﴾[٤].

٢٠٢ ـ كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ[٥].

الفقرة الأولى إشارة إلىٰ أنفاس العباد وحركاتهم، والثانية تخويف بما يتوقّع من الموت وتوابعه.

٢٠٣ ـ كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بالاحْسَانِ إلَيْه، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ! وَمَا ٱبْتَلى ٱللهُ أَحَداً بِمِثْلِ ٱلإمْلاَءِ لَهُ[٦].

المستدرج: المأخوذ على غرّة. والإملاء: الإمهال وتأخير المدّة. ولمّا كانت غاية الابتلاء بهذه الأمور التي كلّها نعم في الحقيقة، إمّا شكرها أو كفرها، وكان الشكر هو الغاية الخيريّة المطلوبة بالذات نبّه المبتلى بالنعمة الأولى على وجوب شكرها بأنّه كثيراً ما يستدرج بها فينبغي أن لا يغفل عنها. ونبّه المبتلى بالثانية على أنّها كثيراً ما يكون سبباً لغرّته بالله

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣.

(٢) سورة الأسراء (١٧) / ٢٩.

(٣) سورة الأسراء (١٧) / ٢٧.

(٤) سورة الفرقان (٢٥) / ٦٧.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٧٥.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٦.

والأمن من مكره فينهمك في المعاصي. ونبّه الثالث بكون نعمته قد يكون سبباً لفتنته وارتكابه لرذيلة العجب بنفسه. ونبّه الرابع بكون نعمته أعظم ما يبتلى به من النعم[١].

٢٠٤ ـ كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ ٱلْجُوْعُ وَٱلْعَطَشُ [والظَّمأ ـ خ ل]، وَكَمْ مِنْ قائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ وَٱلْعَنَاءُ، حَبَّذَا نَوْمُ ٱلأَكْياسِ وَ إِفْطارُهُمْ![٢].

إنّما مدح نوم الأكياس وإفطار هم، لأنّ الكيّس هو الذي يستعمل ذكاه وفطنته في طريق الخير وعلى الوجه المرضيّ للشارع، ويضع كلّ شيء موضعه، ومن كان كذلك كان نومه وإفطاره وجميع تصرّفاته في عباداته مُوضعةً موضعها من رضاء الله ومحبّته بخلاف الجاهلين بالله وبشرائط العبادة، فإنّ نصيبهم من الصيام والقيام ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام.

قال تعالىٰ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ. تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾[٣].

وورد: ربّ تال القرآن، والقرآن يلعنه[٤].

٢٠٥ ـ كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ (تمنع ـ خ ل) أكلاتٍ![٥]

هذا حقّ ـ وقد أخذ هذا المعنى بلفظه الحريريّ، فقال في المقامات: ربّ أكلة هاضت الآكل، ومنعتْه مآكل[٦].

---

(١) مأخوذ من شرح ابن ميثم ٥ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٥.

(٣) سورة الغاشية (٨٨) / ٣ ـ ٤.

(٤) بحار الأنوار ٩٢ / ١٨٤، نقلاً عن جامع الأخبار.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ١٧١.

(٦) مقامات الحريري، المقامة الكوفية، ص ٤١ وفيه: حرمته مآكل.

وأخذه ابن العلاّف الشاعر فقال في سنّوره الذي يرثيه:[١]

أردتَ أن تأكـــل الفِـراخَ ولا يأكُـلكَ الدهـر أكـلَ مـضطهدِ

يـــامن لذيـــذ الفِـراخ أوقـعه ويـحك هـلاّ قـنعت بـالغدد

كـم أكـلةٍ خـامرت حَشـا شَـرِهٍ فأخرجتْ روحَه من الجسدِ[٢]

والعرب تعيّر بكثرة الأكل، وتعيب بالجشع والشره والنهم، وقـد كـان فيها قوم موصوفون بكثرة الأكل، منهم معاوية؛ كان يأكـل حـتّى يستلقي ويقول: يا غلام، ارفع فلأنّي والله ما شبعت ولكن مللت[٣].

قال الشاعر:

وصـــاحب لي بـــطنه كـالهاويهْ كأنّ فـــي أمـــعائه مـــعاويهْ

وكان عبيدالله بن زياد يأكل في اليوم خـمس أكـلات أخـراهـنّ خـبية (؟) بعسل، ويوضع بين يديه بـعد أن يـفرغ الطـعام عَـناق أوجَـدْي فـيأتي عليه وحده[٤].

وكان سليمان بن عبد الملك المصيبة العظمىٰ فـي الأكـل. حكـي أنّـه دخل الحمّام فأطال، ثمّ خرج فأكل ثلاثين خروفاً بثمانين رغيفاً، ثـمّ قـعد على المائدة فأكل مع الناس كأنّه لم يأكل شيئاً[٥].

ونوادر آثاره في الأكل كثيرة.

وكان الحجّاج وهلال بن أشعر المازنيّ وهلال بن أبـي بـردة وعـنبسة وميسرة الرأس موصوفين بكثرة الأكل ولهم نوادر أوردها ابن أبي الحديد

---

(١) وفيات الأعيان ٢ / ١١٠؛ حياة الحيوان للدميري ٢ / ٤٠٣.

(٢) في الوفيات: «كم دخلت لقمةٌ حشا شرهٍ» بدل المصراع الأول.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٩٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٩٨.

(٥) نفس المصدر السابق.

في الشرح[١].

وكان أبو الحسن العلاّف والد أبي بكر العلاّف الشاعر المحدّث أكولاً؛ دخل يوماً على الوزير أبي بكر محمّد المهلبيّ، فأمر الوزير أن يؤخذ حماره فيذبح ويطبخ بماء وملح، ثمّ قُدِّم له على مائدة الوزير، فأكل وهو يظنّه لحم البقر، ويستطيبه حتّى أتى عليه، فلمّا خرج ليركب طلب الحمار، فقيل له: في جوفك[٢].

وكان أبو العالية أكولاً، نذرت امرأة حامل إن أتتْ بذكر تشبع أبا العالية خبيصاً، فولدتْ غلاماً، فأحضرتْه، فأكل جفان خبيصاً، ثمّ أمسك، وخرج، فقيل له: إنّها كانت نذرت أن تشبعك، فقال: والله لو علمتُ ما شبعتُ إلىٰ الليل[٣].

٢٠٦ ـ كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلاَّ وِعَاءَ ٱلْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ[٤].

الأوعية المحسوسة لمّا كانت متناهية الاتّساع، فمن شأنها أن يضيق بما يجعل فيها، وأوعية العلم معقولة وهي النفوس، وقوّة إدراك العلوم فيها غير متناهية، وكلّ مرتبة من إدراكها تعدّ لما بعدها إلىٰ غير النهاية؛ فبالواجب أن يتّسع بالعلم ويزيد بزيادته.

٢٠٧ ـ كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً، وبِحُسْنِ ٱلْخُلُقِ نَعِيماً[٥].

استعار لفظ الملك للقناعة لأنّ غاية الملك الغناء عن الخلق، والترفّع

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٤٠٠ ـ ٤٠١.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٤٠٠.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٤٠١.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٥.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٩.

عليهم بذلك. والالتذاذ والقناعة مستلزمة لهذه الغايات، وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامها للالتذاذ.

وما ورد في فضل القناعة أكثر من أن يحصى.

وسئل عليه السلام عن قول الله عزّوجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[١]، فقال: هي القناعة[٢].

وذلك لأنّه لا ريب أنّ الحياة الطيّبة هي حياة الغنى، والغنى هو القنوع، لأنّه إذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلّهم حاجةً إلىٰ الناس، ولذلك كان الله تعالى أغنىٰ الأغنياء، لأنّه لا حاجة به إلىٰ شيء، وعلى هذا دلّ النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله:

ليس الغنى بكثرة العَرَض، إنّما الغنى غنى النفس[٣].

٢٠٨ ـ اَلْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ[٤].

أي الكريم بكرمه أعطف على المنعم عليه من ذي الرحم على رحمه؛ لأنّ عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي الرحم قد يكون تكلّفاً وقد لا يكون أصلاً.

ومثل هذا قول أبي تمّام لابن الجهم[٥]:

إلاّ يكن نسبٌ يؤلّف بيننا
أدبٌ أقمناه مُقام الوالدِ

---

(١) سورة النحل (١٦) / ٩٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٠٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٥٥.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٧.

(٥) ديوان أبي تمام، ص ٨٦ وفيه: «أو يفترق» بدل «إلاّ يكون».

أو يـــختلفْ مـــاءُ الوصـالِ فـماؤُنا

عـــذبٌ تــحدَّرَ مـن غـمامٍ واحـدِ

٢٠٩ ـ كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ ٱلْإِنْظَارَ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ[١].

قال الله سبحانه: ﴿حَتّى إذا جاءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ ربِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلّي أَعْمَلُ صَالِحاًفيما تَرَكْتُ كَلاّ...﴾[٢] الآية.

فهذا سؤال الإنظار لمن عوجل، فأمّا من أُجِّل فإنّه يعلّل نفسه بالتسويف، ويقول: سوف أتوب، سوف أقلع عمّا أنا عليه، فأكثرهم يُخترم[٣] من غير أنْ يبلغ هذا الأمل. وتأتيه المنيّة وهو على أقبح حال وأسوئها، ومنهم من تشمله السعادة فيتوب قبل الموت، وأولئك الذين ختمت عاقبتهم بخير، وقليل ماهم!

جعل الله عواقب أمورنا خيراً بمحمّدٍ وآله ـ صلوات الله عليهمَ.

٢١٠ ـ كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِساً[٤].

استعاره لفظ الحارس باعتبار أنّ الإنسان لا يهلك مادام أجله كالحارس.

وكان عليه السلام يقول: إنّ عليّ من الله جُنّة حصينة، فإذا جاء يومي أسلمتْني، فحينئذٍ لا يطيش السهم، ولا يبرأ الكلْم[٥].

وعن مناقب ابن شهر آشوب: كان مكتوباً على درع أميرالمؤمنين عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٥.

(٢) سورة المؤمنون (٢٣) / ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) يقال اخترمته المنية من بين أصحابه: أخذته من بينهم. (لسان العرب ٤ / ٧٧ ـ خرم).

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩؟ ٢١٢.

أيّ يـومَيَّ مـن المـوت أفرّ يـوم لا يـقدر أم يـوم قـدر
يـوم لا يـقدر لا أخشـى الوَغـى يوم قـد قـدّر لا يُـغني الحـذر[١]

٢١١ ـ اَلْكَلامُ في وَثَاقِكَ مَالَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ؛ فَإِذا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ في وَثَاقِهِ، فَاخزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ؛ فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً[٢].

كان يقال: لا خير في الحياة إلاّ لصموت واعٍ، أو ناطق مُحس[٣].

وقيل لحذيفة: قد أطلت سجن لسانك! فقال: لأنّه غير مأمون[٤]. ومن أمثال العجم: زبان سرخ سر سبز مىدهد برباد![٥]

٢١٢ ـ كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ[٦].

هذا من باب القناعة، وإنّ من اقتصر على شيء وقنعتْ بـه نفسُه فـقد كفاه، وقام مقام الفضول الّتي يرغب فيها المترفون.

٢١٣ ـ كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اَجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ[٧].

وقد قال عليه‌السلام نظير هذه الكلمة، فراجع به.

٢١٤ ـ كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ[٨].

الغرض من العقل العمليّ هو ما ذكره عليه‌السلام، وكفى به.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٩٨: العقد الفريد ١ / ٩٦.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣٢٢.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) أمثال وحكم ٢ / ٨٩٣

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٥.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٢.

(٨) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢١.

حرف اللام

٢١٥ ـ لَنَا حَقٌّ، فإنْ أُعْطِيناهُ، وَإلاَّ رَكِبْنا أَعْجَازَ ٱلْإِبِلِ، وَإِنْ طالَ السُّرى[١].

قال السيّد الرضيّ ﴿﴾: وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: أنّا إن لم نُعْطَ حقّنا كنّا أذلاّء، وذلك أنّ الرديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما.[٢] انتهىٰ.

قد فسّر كلامه ﷺ على وجهين: أحدهما أنّ راكب عجُزَ البعير يلحق مشقّة وضرراً، وهذا قريب ممّا فسّره الرضيّ. والثاني أنّ راكب عجز البعير إنّما يكون إذا كان غيره قد ركب على ظهر البعير، وراكب الظهر متقدّم على راكب العجز، فأراد أنّا إذا منعنا حقّنا تأخّرنا وتقدّم غيرنا علينا، فكنّا كالراكب رديفاً لغيره، وأكّد المعنى على كلا التفسيرين بقوله: «وإن طال السرى» السرى: سير الليل، أي المشقّة.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٧٢.

وهذا الكلام قاله يوم السقيفة أو في تلك الأيام، وقيل: قاله يوم الشورىٰ[١].

٢١٦ ـ لاَ قُرْبَةَ بِالنَّوافِلِ إِذا [ما ـ خ ل] أَضَرَّتْ بِالْفَرائِضِ[٢].

هذا الكلام يمكن أن يحمل على حقيقته ويمكن أن يحمل على مجازه؛ فإن حمل على حقيقته فمعناه: لا يصحّ التنفّل ممّن عليه قضاء فريضة فاتته، وهذا مذهب كثير من الفقهاء. وأمّا إذا حمل على مجازه فإنّ معناه: يجب الابتداء بالأهمّ وتقديمه على ما ليس بأهمّ، نحو أن تقول لمن توصيه: لا تبدأ بخدمة حاجب الملك قبل أن تبدأ بخدمة ولد الملك، فإنّك إنّما تروم القربة للملك بالخدمة، ولا قربة إليه في تأخير خدمة ولده وتقديم خدمة غلامه.

٢١٧ ـ لِسانُ ٱلْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ ٱلأَحْمَقِ وَراءَ لِسانِهِ[٣].

قال الرضيّ ﷺ: وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أنّ العاقل لا يطلق لسانه إلاّ بعد مشاورة الرويّة، ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفاتُ لسانه، وفلتاتُ كلامه، مراجعةَ فكره، ومماخضةَ رأيه، فكأنّ لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنّ قلب الأحمق تابع للسانه[٤].

قال: وقد روي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر، وهو قوله عليه السلام:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٧٦.

٢١٨ ـ قَلْبُ ٱلْأَحْمَقِ في فِيهِ، وَلِسانُ ٱلْعَاقِلِ في قَلْبِهِ[(١)].

ومعناهما واحد. انتهى.

الكلام في العقل والحمق أكثر من أن يذكر ونحن نذكر هاهنا نبذاً يسيراً على حسب دأبنا في هذا الشرح.

قالوا: كلّ شيء إذا كثر رخص إلّا العقل؛ فإنّه كلّما كان أكثر كان أعزّ وأغلى[(٢)].

وكان عبد الملك يقول: أنا للعاقل المدبر أرجى منّي للأحمق المقبل[(٣)].

قيل لبعضهم: العقل أفضل أم الجَدّ؟ فقال: العقل من الجَدّ[(٤)].

وقال أرسطو: العاقل يوافق العاقل، والأحمق لا يوافق العاقل، والأحمق[(٥)] كالعود المستقيم الذي ينطبق على المستقيم، فأمّا المعوجّ فإنّه لا ينطبق على المعوجّ ولا على المستقيم[(٦)].

قلت: ومنه قول الطغرائيّ في «لاميّة العجم»:

وشانَ صدقَكَ عند الناس كذبُهُمُ

وهل يُطابَقُ معوجٌّ بِمُعْتَدِلِ[(٧)]

قال هشام بن عبدالملك يوماً لأصحابه: إنّ حمق الرجل يعرف

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٥٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٥٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٦٠.

(٥) كذا في المتن. والصحيح: ولا أحمق. كما في شرح ابن أبي الحديد.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٦٠.

(٧) معجم الأدباء ١٠ / ٦٧.

بخصال أربع: طول لحيته، وبشاعة كنيته، ونقش خاتمه، وإفراط نهمته. فدخل عليه شيخ طويل العُثنون، فقال هشام: أمّا هذا فقد جاء بواحدة فانظروا أين هو من الباقي؟! قالوا له: ما كنية الشيخ؟ قال: أبو الياقوت، فسألوه عن نقش خاتمه، فإذا هو: ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[1] فقيل له: أي الطعام تشتهي؟ قال: الدبّاء[2] بالزيت، فقال هشام: إنّ صاحبكم قد كمل[3].

وأرسل ابنٌ لعجل بن لجيم فرساً له في حلبة، فجاء سابقاً، فقيل له: سمّه باسم يعرف به، فقام ففقأ عينه، وقال: قد سمّيته الأعور، فقال شاعر يهجوه:

رمتْني بنو عِجل بداء أبيهمُ
وأيّ عباد الله أنوك من عجلِ!
أليس أبوهم عار عيْنَ جواده
فأضحتْ به الأمثالُ تُضرب بالجهلِ[4]

وكان عبد الملك بن هلال عنده زنبيل مملوء حصاً للتسبيح، فكان يسبّح بواحدة واحدة، فإذا ملّ طرح اثنتين اثنتين، ثمّ ثلاثاً ثلاثاً، فإذا ازداد ملالُه قبض قبضةً وقال: سبحان الله عددك! فإذا ضجر أخذ بِعُرا الزنبيل وقلّبه، وقال: سبحان الله بعدد هذا[5].

وصف بعضهم إنساناً أحمق، فقال: والله للحكمة أزلّ عن قلبه من

(١) سورة يوسف (١٢) / ١٨.
(٢) الدباء: القرع.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٦٠ ـ ١٦١.
(٤) العقد الفريد ٧ / ١٧٣.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٦٤.

المداد عن الأديم الدهين[(١)] [(٢)].

ومن حمقى العرب وجهلائهم كلاب بن صعصعة، خرج إخوته يشترون خيلاً، فخرج معهم، فجاء بعجل يقوده، فقيل له: ما هذا؟ فقال: فرس اشتريته؛ قالوا: يا مائق![(٣)] هذه بقرة، أما ترى قرنيها! فرجع إلىٰ منزله فقطع قرنيها، ثمّ قادها، فقال لهم: قد أعددتها فرساً كما تريدون، فأولاده يُدعون بني فارس البقرة[(٤)].

واستعمل معاوية عاملاً من كلب، فخطب يوماً، فذكر المجوس، فقال: لعنهم الله! ينكحون أمّهاتهم، والله لو أُعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت أُمّي، فبلغ ذلك معاوية، فقال: قبّحه الله! أترونه لو زادوه فعل! وعزله[(٥)].

وشرد بعير لهبنّقة ـ واسمه يزيد بن شَرْوان ـ فجعل ينادي: لمن أتى به بعيران، فقيل له: كيف تبذل ويلك بعيرين في بعير! فقال: لحلاوة الوجدان[(٦)].

٢١٩ ـ لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ ٱلْمُؤْمِنِ بِسَيفِي هذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي؛ وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيا بِجَمّاتِها عَلى ٱلْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي. وَذٰلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَنَّهُ قالَ: يَا عَلِيُّ لاَ يُبْغِضُكَ

---

(١) الدهين فعيل من الدهن. منه ﷺ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٦٥.

(٣) المائق: الأحمق.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٦٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٦٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٦٦.

مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُحِبُّكَ مُنافِقٌ(١).

جمّاتها ـ بالفتح ـ: جمع جمّة، وهي المكان يجتمع فيه الماء. وهذه استعارة لمجتمع المال.

والخيشوم: أقصى الأنف، ومراده عليه السلام من هذا الفصل إذكار الناس ماقاله فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو: لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق.

٢٢٠ ـ لاَ غِنَى كَالْعَقْلِ؛ وَلاَ فَقْرَ كَالْجَهْلِ؛ وَلاَ مِيراثَ كَالْأَدَبِ؛ وَلاَ ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ(٢).

قال بزرجمهر الحكيم: ما ورّثت الاباء ابناءها شيئاً أفضل من الأدب، لأنّها إذا ورّثتها الأدب اكتسبتْ بالأدب المالَ، فإذا ورّثتها المال بلا أدب اتلفته بالجهل، وقعدت صفراً من المال والأدب(٣).

وكان يقال: عليكم بالأدب؛ فإنّه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلىٰ طلب الحاجة(٤).

وسيأتي مثل هذا الكلام بعد هذا.

٢٢١ ـ اللِّسَانُ سَبُعٌ، إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ(٥).

قالت الحكماء: النطق أشرف ما خُصّ به الإنسان لأنّه صورته المعقولة الّتي بايَنَ بها سائر الحيوانات، ولذلك قال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلإِنْسَانَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾(٦)، ولم يقل: «وعلّمه» بالواو، لأنّه سبحانه جعل

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٥٤.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٨٧.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٨٨.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٦٠.
(٦) سورة الرحمن (٥٥) / ٣ - ٤.

قوله: «علّمه البيان» تفسيراً لقوله: «خلق الإنسان»، لا عطفاً عليه؛ تنبيهاً على أنّ خلقه له هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهّم مرتفعاً لارتفعت إنسانيّته؛ ولذلك قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلّا بهيمة مهملة، أو صورة ممثّلة[١].

قالوا: والصمت من حيث هو صمت مذموم، وهو من صفات الجمادات، فضلاً عن الحيوانات، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام وغيره من العلماء والحكماء في مدح الصمت محمول على من يسيء الكلام، فيقع منه جنايات عظيمة في أمور الدين والدّنيا، كما ورد في الخبر: إنّ الإنسان إذا أصبح قالت أعضاؤه للسانه: اتّق الله فينا، فإنّك إن استقمتَ نجونا، وإن زُغْتَ هلكنا[٢].

٢٢٢ ـ لاَ تَسْتَحِ مِنْ إِعْطاءِ ٱلْقَلِيلِ، فَإِنَّ ٱلْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ[٣].

أراد بقوله: أقلّ منه، أي أحقر بالاعتبار، وهذا نوع من الحثّ على الإفضال والجود لطيفٌ.

سئل أرسطو: هل من جود يستطاع أن يتناول به كلّ أحد؟ قال: نعم، أن تنوي الخير لكلّ أحد[٤].

٢٢٣ ـ لاَ تَرَى ٱلْجَاهِلَ إِلاَّ مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً[٥].

العدالة هي الخلق المتوسّط، وهو محمود بين مذمومين، فالشجاعة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٦.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٧.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٦٧.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢١٢.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٧٠.

محفوفة بالتهوّر والجبن، والذكاء بالغباوة والجربزة، والجود بالشحّ والتبذير، والحلم بالجمادية والاستشاطة، وعلى هذا كلّ ضدّين من الأخلاق فبينهما خلق متوسّط، وهو المسمّى بالعدالة، فلذلك لا يرى الجاهل إلّا مفرطاً وهو الجهل المركّب ـ أو مفرّطاً ـ وهو الجهل البسيط كصاحب الغيرة، فهو إمّا أن يفرط فيها، فيخرج عن القانون الصحيح فيغار لا من موجب، بل بالوهم وبالخيال وبالوسواس، وإمّا أن يفرّط فلا يبحث عن حال نسائه ولا يبالي ما صنعن، وكلا الأمرين مذموم، والمحمود الاعتدال.

٢٢٤ ـ لاَ يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ ٱلْحَوَائِجِ إلاَّ بِثَلاَثٍ: بِاسْتِصْغَارِها لتَعْظُمَ، وَبِاسْتِكْتَامِها لِتَظْهَرَ، وَبِتَعْجِيلِها لِتَهْنُؤَ[١].

اشترط في استقامة الحوائج ثلاث شرائط:

أحدها: استصغار قاضي الحاجة لها ليعرف بالسماحة وكبر النفس فيعظم عطاؤه ويشتهر.

الثانية: أن يكتمها؛ طباع الناس أدعى إلىٰ إظهار ما استكتم، وأكثر عناية به من غيره.

الثالثة: أن يعجّلها لتهنؤ، أي لتكون هنيئة، وذلك لأنّ الإبطاء بقضاء الحاجة ينغّصها على طالبها، فتكون لذّتها مشوبة بتكدير بطؤها.

ولهذا قالوا: وخير الخير ما كان عاجله[٢].

وكان يقال: المنع أروح من التأخير[٣].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٠١.

(٢) وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: إن الله يحب من الخير ما يعجّل. (الكافي ٢ / ١٤٢).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٥٨.

وقال خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج في غاير حينها، ولا تطلبوها إلىٰ غير أهلها، ولا تطلبوا مالستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء[1].

٢٢٥ ـ لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شيئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لاِسْتِصْلاَحِ دُنْياهُمْ إلاَّ فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ مَاهُوَ أَضَرُّ مِنْهُ[2].

مثال ذلك إنسان يضيّع وقت صلاة الفريضة عليه، وهو مشتغل بمحاسبة وكيله ومخافته على ماله، خوفاً أن يكون خانه في شيء منه، فهو يحرص على مناقشته عليه، فتفوته الصلاة.

٢٢٦ ـ لاَ يُقِيمُ أَمْرَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ مَنْ لاَيُصانِعُ، وَلاَ يُضَارِعُ، وَلاَ يَتَّبعُ ٱلْمَطَامِعَ[3].

المصانعة: بذل الرشوة، وفي المثل: من صانع بالمال، لم يحتشم من طلب الحاجة[4].

ويضارع: يتعرّض لطلب الحاجة، ويجوز أن يكون من الضراعة، وهي الخضوع.

٢٢٧ ـ لاَ مَالَ أَعْوَدُ مِنَ ٱلْعَقْلِ، وَلاَ وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ ٱلْعُجْبِ، وَلاَ عَقْلَ كالتَّدْبِيرِ وَلاَ كَرَمَ كالتَّقْوىٰ، وَلاَ قَرِينَ كَحُسْنِ ٱلْخُلْقِ، وَلاَ مِيراثَ كالْأَدَبِ، وَلاَ قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ، وَلاَ تِجارِةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِح، وَلاَ زَرْعَ[5] كالثَّوَابِ، وَلاَ وَرَعَ كَالْوُقُوفِ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٥٨.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٠٦.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١١٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٧٤.

(٥) في النهج: ولا ربح.

عِنْدَ الشُّبْهَةِ، وَلاَ زُهْدَ كَالزُّهْدِ في ٱلْحَرَامِ، وَلاَ عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ، وَلا عِبَادَةَ كَأَدَاءَ ٱلْفَرائِضِ، وَلاَ إِيمانَ كَالْحَياءِ وَالصَّبْرِ، وَلاَ حَسَبَ كَالتَّواضُعِ، وَلاَ شَرَفَ كَالْعِلمِ، وَلاَ عِزَّ كَالْحِلْمِ، وَلاَ مُظاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ ٱلْمُشَاوَرَةِ[١].

أمّا المال فإنَّ العقل أعود منه، لأنّ الأحمق ذا المال طالما ذهب ماله بحمقه، فعاد أحمق فقيراً، والعاقل الذي لا مال له طالما اكتسب المال بعقله.

وأمّا العُجب فيوجب المقت، ومَن مُقِت أفرد عن المخالطة واستوحش منه.

ولا ريب أنّ التدبير هو أفضل العقل، لأنّ العيش كلّه في التدبير.

وأمّا التقوى فقد قال الله تعالىٰ:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢].

وأمّا الأدب فقالت الحكماء: ما ورّثت الآباء أبناءها كالأدب[٣].

وأمّا التوفيق فمن لم يكن قائده ضلّ.

وأمّا العمل الصالح، فإنّه أشرف التجارات، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليم﴾.[٤] ثمّ عدّ الأعمال الصالحة.

وأمّا الثواب فهو الربح الحقيقيّ، وأمّا ربح الدنيا فشبيه بحلم النائم.

وأمّا الوقوف عند الشبهات فهو حقيقة الورع.

ولا ريب أن من يزهد في الحرام أفضل ممّن يزهد في المباحات، كالمآكل اللذيذة، والملابس الناعمة.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١١٣.

(٢) سورة الحجرات (٤٩) / ١٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٧٧.

(٤) سورة الصفّ (٦١) / ١٠.

وقد وصف الله أرباب التفكّر فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَٱلْأَرضِ﴾(١) وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾(٢).

ولا ريب أنّ العبادة بأداء الفرائض فوق العبادة بالنوافل.

والحياء مخّ الإيمان، والصبر رأس الإيمان.

والتواضع مصيدة الشرف، وذلك هو الحسب.

وأشرف الأشياء العلم، لأنّه خاصّة الإنسان، وبه يقع الفصل بينه وبين سائر الحيوان.

والمشورة من الحزم، فإنّ عقل غيرك تستضيفه إلىٰ عقلك.

ومن كلام بعض الحكماء: إذا استشارك عدوّك في الأمر فامحضْه النصيحة في الرأي، فإنّه إن عمل برأيك وانتفع ندم على تفريطه في مناوأتك، وأفْضَتْ عدواته إلىٰ المودّة، وإن خالفك واستضرّ عرف قدر أمانتك بنصحه، وبلغْتَ مُناك في مكروهه(٣).

٢٢٨ ـ لَأَنْسُبَنَّ ٱلاِسْلاَمَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْها أَحَدٌ قَبْلي. ٱلاِسْلاَمُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ ٱلْيَقِينُ، وٱلْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ ٱلْإِقْرارُ، وَٱلْإِقْرارُ هُوَٱلْأَدَاءُ، وَٱلْأَدَاءُ هوَ ٱلْعَمَلُ(٤).

حاصل هذا الترتيب يؤول إلىٰ نتاج أنّ الإسلام هو العمل بمقتضى أوامره، وهو تفسير بخاصّة من خواصّه.

---

(١) سورة آل عمران (٣) / ١٩١.

(٢) سورة الأعراف (٧) / ١٨٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٧٧.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٢٥.

٢٢٩ ـ لاَ يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتّىٰ يَحْفَظَ أَخَاهُ في ثَلاثٍ: في نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ وَوَفَاتِهِ(١).

النكبة ما تصيب الإنسان من حوادث الدهر، من قصر ومرض إلىٰ غير ذلك. قال الشاعر:

وكـان أخـلاّئي يـقولون مـرحـبا
فلّما رأوني مقتراً مات مـرحبُ(٢)

٢٣٠ ـ لِكُلِّ آمْرِىءٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ(٣).

هكذا وجد في كثير من النسخ، ووجدوا أيضاً في بعض النسخ: «لكـل أمر» وهو الأليق(٤).

وعلى كلّ حال فمعناه ظاهر.

٢٣١ ـ لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ، وَمَا أَدْبَرَ فَكَأَنْ [كَأَنْ خ ل] لَمْ يَكُنْ(٥).

هذا معنى قد استعمل كثيراً، فمنه:

ما طار طير وارتفعْ — إلّا كما طار وَقَعْ(٦)

وقول الشاعر:

بقدر العلوّ يكون الهبوطُ — وإيّاك والرّتب العاليَهْ(٧)

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٤.

(٢) حكي أنه سمع رجل هذا الشعر فقال: خطأ الشاعر، إن مـرحـباً لم يـمت وإنـما قـتله عـلي بـن أبي طالب عليه السلام. منه رحمه الله.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٥١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٦١.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٢.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٦٣.

(٧) نفس مصدر السابق.

وفي أمثال العجم: فوّاره چون بلند شود سرنگون شود[١].

قال بعض الحكماء: حركة الإقبال بطيئة، وحركة الإدبار سريعة، لأنّ المقبل كالصاعد من مرقاة إلىٰ مرقاة، ومرقاة المدبر كالمقذوف به من علو إلىٰ أسفل[٢].

٢٣٢ ـ لاَ يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَر وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمانُ[٣].

قالت الحكماء: الصبر ضربان: جسميّ ونفسيّ؛ فالجسمي تحمّل المشاقّ قدر القوّة البدنيّة، كالصبر على المشي ورفع الحجر، والصبر على المرض واحتمال الضرب والقطع، وليس ذلك بفضيلة تامّة، وأمّا النفسيّ ففيه تتعلّق الفضيلة، وهو ضربان: صبر عن مشتهى، ويقال له: عفّة، وصبر على تحمّل مكروه أو محبوب. وتختلف أسماؤه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان في نزول مصيبة لم يتعدّ به اسم الصبر، ويضادّه الجزع والهلع والحزن، وإن كان في محاربة سمّي شجاعة ويضادّه الجبن، وإن كان في إمساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمّي حلماً، ويضادّه الاستشاطة. وإن كان عن فضول العيش سمّي قناعة وزهداً، ويضادّه الحرص والشره، إلىٰ غير ذلك.

فهذه كلّها أنواع الصبر، ولكن اللفظ العرفيّ واقع على الصبر الجسمانيّ، وعلى ما يكون في نزول المصائب، وينفرد باقي الأنواع بأسماء تخصّها[٤].

---

(١) أمثال و حكم دهخدا، ج ٢ / ١١٤٩، وهذا نظير: خسوف البدر عند تمامه.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٦٣.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٦٦.

٢٣٣ ـ لِلظَّالِمِ ٱلْبَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ[١].

هذا من قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾[٢]، وإنّما قال: «للبادي» لأنّ «من انتصر بعد ظلمه فلا سبيل عليه»[٣].

٢٣٤ ـ لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ[٤].

قال ابن ميثم: وذلك كالوضوء بالماء [المغصوب]، والصلاة في الدار المغصوبة. ويحمل النفي هنا على نفي جواز الطاعة، كما هو المنقول عنه وعن أهل بيته عليهم السلام وعند الشافعيّ: قد يصحّ الطاعة والنفي لفضيلتها[٥].

٢٣٥ ـ لاَ يُعَابُ ٱلْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ [بِأَخْذِ ـ خ ل] حَقِّهِ، إِنَّما يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَالَيْسَ لَهُ[٦].

٢٣٦ ـ اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ[٧].

أي: تأخذه وتذهب به. وهذا قريب من قوله عليه السلام: «لا رأي لمن لا يطاع»[٨]، وذلك لأنّ عدم الطاعة هو اللجاجة، وهو خلق يتركّب من

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٦.

(٢) سورة الفرقان (٢٥) / ٢٧.

(٣) هذا مأخوذ من الآية الكريمة: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل).

سورة الشورىٰ (٤٢) / ٤١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٥.

(٥) شرح ابن ميثم ٥ / ٣٣٥.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٦. قال ابن ميثم في شرح هذه الحكمة: أخذ الحق قد يكون واجباً لمن هوله وقد يكون مندوباً، وأقله أن يكون مباحاً ولا حرج في أمر المباح. وأما أخذ ماليس له فظلم وهو من أقبح الرذائل التي يعاب بها المرء.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٩.

(٨) نهج البلاغة، آخر الخطبة ٢٧.

خلقين: أحدهما الكبر، والآخر الجهل بعواقب الأمور.

٢٣٧ ـ لاَ خَيْرَ في الصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لاَ خَيْرَ في ٱلْقَوْلِ بِالْجَهْلِ(١).

هذان طرفا تفريط وإفراط، والحقّ العدل هو النطق بالحكمة وفيه الخير كلّ الخير.

وكان يقال: ما الإنسان لو لا اللسان إلّا بهيمة مهملة أو صورة ممثّلة(٢).

٢٣٨ ـ لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ(٣).

هذا مثل قولهم: إنّ المصائب أثمان التجارب(٤).

وفي أمثال العجم: هر ضررى عقلى را زياد مى‌كند(٥).

٢٣٩ ـ لاَ يُزَهِّدَنَّكَ في ٱلْمَعْرُوفِ مَنْ لاَ يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لاَ يَسْتَمْتِعُ بِشيءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ ٱلْكَافِرُ، وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ(٦).

نهىٰ عن الزهد في المعروف بسبب عدم شكر المحسن إليه.

٢٤٠ ـ لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا، وَتَلاَ عَقِيبَ ذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا في الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾(٧).

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٩٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١٥.

(٥) أمثال وحكم دهخدا، ج ٤ / ١٩٣١.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٤.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٩، والآية الكريمة في سورة القصص (٢٨) / ٥.

الشماس: مصدر شمس الفرسُ إذا صنع من ظهره، والضروس: الناقة السّيئة الخلق تعضّ حالبها ليبقى لبنها لولدها، وذلك لفرط شفقتها عليه.

وهذا إشارة إلىٰ دولتهم في آخر الزمان ـ عجّل الله فرجهم ـ.

٢٤١ ـ لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْقَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنِّ(١).

أي من كان عندك ثقة معروفاً بالأمانة فحكمك عليه بالخيانة عن ظنّ خروجٌ عن العدل وهو رذيلة الجور.

٢٤٢ ـ لَوْ قَدِ ٱسْتَوَتْ قَدَمايَ مِنْ هَذِهِ ٱلْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ(٢).

المداحض: المزالق. واستواء قدميه كناية عن ثباته وتمكّنه من إجراء الأحكام الشرعيّة على وجوهها، وذلك لأنّه في خلافته لم يتمكّن من تغيير شيء من أحكام الخلفاء قبله، وكان له في بعضها رأي غير ما رأوه، ولهذا قال لقضاته: «اقضوا كما كنتم تقضون حتّى يكون للنّاس جماعة»(٣).

٢٤٣ ـ لاَ تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، وَيَقِينَكُمْ شَكّاً. إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا(٤).

أمرهم بالعمل على وفق علمهم، والإقدام على وفق يقينهم، ونهاهم عن ترك العمل.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٠.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١٦١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧٤.

٢٤٤ ـ لَيْسَتِ ٱلرَّوِيَّةُ مَعَ ٱلْإِبْصَارِ،[١] فَقَدْ تَكْذِبُ ٱلْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلاَ يَغُشُّ ٱلْعَقْلُ مَنِ ٱنْتَصَحَهُ [ٱسْتَنْصَحَهُ ـ خ.ل][٢].

هذا تنبيه على وجوب إعمال الفكر فيما ينبغي، وأنّ العقل هو مستند الحواسّ وهو الناقد البصير والناصح الشفيق الّذي لا يغشّ من استنصحه.

«فقد تكذب العيون أهلها» أي قد يكذب الأحكام الوهميّة على مدركات العيون كالحكم بكون القطرة النازلة خطّاً مستقيماً، والشعلة الّتي تدار بسرعة كالدائرة ونحوه.

٢٤٥ ـ لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ ٱللّٰهُ [سبحانه] عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لاَ يُعْصَىٰ شُكْراً لِنِعَمِهِ[٣].

٢٤٦ ـ لاَتَصْحَبِ ٱلْمَائِقَ، فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ[٤].

المائق: الشديد الحمق، وإنّما يزيّن لك فعله لأنّه يعتقد فعله صواباً بحمقه، فيزيّنه لك كما يزيّن العاقل لصاحبه فعله لاعتقاد كونه صواباً.

وقوله عليه السلام: «ويودّ أن تكون مثله» وذلك لأنّ كلّ أحد يودّ أن يكون صديقه مثل نفسه في أخلاقه وأفعاله، إذ كلّ أحد يعتقد صواب أفعاله وطهارة أخلاقه ولا يشعر بعيب نفسه كما تخفى عن العاشق عيوب المعشوق.

---

(١) في النهج: ليست الروية كالمعانية مع الابصار.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨١.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٩٠. قال ابن ميثم: ومقتضى الكلمة أنه لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب تركها شكراً له، أي لأجل شكره فكيف وقد توعد مع ذلك عليها فبالأولى أن يجب تركها. (شرح ابن ميثم ٥ / ٣٩١).

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٩٣.

٢٤٧ ـ لَايَصْدُقُ إيمانُ عَبْدٍ، حَتَّىٰ يَكُونَ بِمَا في يَدِ ٱللهِ [سبحانَه] أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا في يَدِهِ[١].

هذا كلام في التوكّل. قال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل، فتضيّع أمر آخرتك، ولاتنال من الدّنيا إلّا ماكتب الله لك[٢].

٢٤٨ ـ لَوْ رَأَى ٱلْعَبْدُ ٱلْأَجَلَ وَمَسِيرهُ،[٣] لَأَبْغَضَ ٱلْأَمَلَ وَغُرورَهُ[٤].

أي لو كان الأجل بصورة سائر محسوس فشاهد العبد سيره به إلىٰ الموت، وعلم غايته لقطع آماله الدنيويّة، ولم يغترر بها.

وكان يقال: واعجبا لصاحب الأمل الطويل! وربما يكون كفنه في يد النسّاج وهو لا يعلم[٥].

٢٤٩ ـ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ في مَالِهِ شَرِيكانِ: ٱلْوَارِثُ وَٱلْحَوَادِثُ[٦].

أخذه الرضيّ ـ ﷺ ـ فقال:

خُـذْ تـراثكَ مـا اسـتطعتَ فـإنّما
شـركـاؤكَ الأيّـامُ والورّاثُ

لم يـقضِ حـقَّ المـال إلّا مـعشرٌ
نظروا الزمانَ يعيث فـيه، فـعاثُوا[٧]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣١٠.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢١٦.
(٣) في النهج: ومصيره.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٤.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٥٠.
(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٥.
(٧) ديوان الشريف الرضي ١ / ٢٢٨. والعيث: الفساد.

ومن كلامه عليه السلام: بشّر مال البخيل بحادث أو وارث[١].

٢٥٠ ـ لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلاثُ عَلاَمَاتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ[٢].

لابدّ لكلّ ظالم من اجتماع هذه العلامات الثلاث فيه.

قال كمال الدين بن ميثم: ظلمه لمن فوقه عصيان الله وتعدّيه لحدوده العادلة، والثانية مستلزمة للأولى والثالثة مستلزمة للأولين[٣].

٢٥١ ـ لاَ تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً[٤].

بهذا المضمون وردت روايات كثيرة. وقال الشاعر:

إذا مــا أتتْ مـن صـاحبٍ لك زَلّـةٌ
فكــنْ أنت مُـحتالاً لزلّـته عـذرا[٥]

٢٥٢ ـ لاَتَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ،[٦] فَفِي الَّذي قَدْ كَانَ لكَ شُغْلٌ[٧].

قال كمال الدين بن ميثم: أمر عليه السلام بالسلو عمّا لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيويّة بما قد كان ووقع من المطالب الّتي أعطيها الإنسان.

قلتُ: يمكن أن يكون لكلامه عليه السلام معنى آخر وهو المنع عن المسائل

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٥١.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥٠.
(٣) شرح ابن ميثم ٥ / ٤١٤.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٠.
(٥) لسالم بن وابصة، أمالي القالي ٢ / ٢٢٤.
(٦) في النهج: لا يكون.
(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٤.

الّتي لم تقع ولم تتّفق بل السؤال عن المطالب الّتي اتّفقت ووقعت، فإنّها أكثر من أن تحصى وكفى بها شغلاً، وهذا ظاهر[(١)].

٢٥٣ ـ لاَشَرَفَ أَعْلَى مِنَ ٱلإِسْلاَمِ، وَلاَ عِزَّ أَعَزُّ مِنَ ٱلتَّقْوَى، وَلاَ مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْوَرَعِ، وَلاَ شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ، وَلاَكَنْزَ أَغْنَى مِنَ ٱلْقَنَاعَةِ، وَلاَ مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ ٱلرِّضَى بِٱلْقُوتِ. وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ ٱلْكَفَافِ فَقَدِ ٱنْتَظَمَ ٱلرَّاحَةَ، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ ٱلدَّعَةِ. وَٱلرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ ٱلنَّصَبِ، وَمَطِيَّةُ ٱلتَّعَبِ، وَٱلْحِرْصُ وَٱلْكِبْرُ وَٱلْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلىٰ ٱلتَّقَحُّمِ فِي ٱلذُّنُوبِ، وَٱلشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ ٱلْعُيُوبِ[(٢)].

استعار للورع لفظ المعقل باعتبار تحصّن الإنسان به من عذاب الله.

قوله عليه السلام: «ولا شفيع...» إلىٰ آخره، وذلك لاستلزام التوبة العفو عن جريمة التائب.

«انتظم الراحة»، أي في سلك الراحة من الهمّ بطلب الدّنيا ومجاذبة أهلها.

«وتبوّأ خفض الدعة»، أي اتّخذ لين السكون مباءة ومرجعا.

«والرغبة مفتاح»، أي الرغبة في الدّنيا تفتح باب التعب على الراغب، والنصب كتعب لفظاً ومعنى. والتقحّم: الدخول بسرعة.

٢٥٤ ـ لاَ تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ ٱلأُمَّةِ عَذَابَ ٱللهِ، لقوله سبحانه[(٣)]: ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾[(٤)] وَلاَ تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ ٱلأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ لقوله سبحانه[(٥)]:

---

(١) شرح ابن ميثم ٥ / ٤١٩.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧١، وفي النهج: جامع مساوئ العيوب.

(٣) في النهج: لقوله تعالى.

(٤) سورة الأعراف (٧) / ٩٩.

(٥) في النهج: لقوله تعالىٰ.

﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾(١) .(٢)

قال كمال الدين بن ميثم: أدّب السامع بهذين الأدبين محتجّاً بعموم الآيتين، ولفظ المكر مستعر لإمهال الله، ثمّ أخذه فهو في صورة المكر والخداع، والمراد ظاهر.(٣) انتهى.

٢٥٥ ـ لاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ، بَلْ لاَ تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَرَضَ(٤) **عَلَىٰ جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ**(٥).

نهى عليه السلام عن قول ما لا يعلم، لأنّه كذب أو محتمل للكذب، أو لأنّه قول بالجهل فيجب الاحتراز فيه. وأمّا النهي عن قول كلّ ما يعلم فلجواز أن يكون فيه مضرّة لنفسه أو لغيره كإذاعة سرّ يستلزم أذاه أو أذىٰ من أسرّه إليه ونحو ذلك. ولهذا قيل: ما كلّ ما يعلم يقال.

٢٥٦ ـ لِلْمُؤْمِنِ ثَلاَثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ فيها مَعَايِشَهُ،(٦) **وَسَاعَةٌ يُخَلِّي فيها**(٧) **بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيما يَحِلُّ وَيَجْمُلُ. وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إلاّ في ثَلاَثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ خُطْوَةٍ**(٨) **في مَعَادٍ أَوْ لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ**(٩).

---

(١) سورة يوسف (١٢) / ٨٧

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٧.

(٣) شرح ابن ميثم ٥ / ٤٣١.

(٤) في النهج: فإن الله فرض.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٢.

(٦) في النهج: يرمّ معاشه.

(٧) ليست «فيها» في النهج.

(٨) في النهج: خطوة.

(٩) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٠.

رمّ المعاش: إصلاحه. والشاخص، أي الراحل والذاهب من بلد إلىٰ بلد. والحُظوة ـ بالحاء المهملة والظاء المعجمة ـ أي عمل لمعاد وهو العبادة والطاعة.

قسّم عليه السلام زمان المؤمن العاقل إلىٰ ثلاثة أقسام بحسب ما ينبغي له بمقتضى الحكمة العمليّة، والرأي الحقّ. قسمٌ في العبادة والمناجات -وهو المطلوب بنفسه ـ وقسم في تحصيل المعاش، وقسم ثالث في تخليته بين النفس ولذّاتها المباحة، وهذان القسمان مرادان للأوّل، إذ لا يمكن بدونهما.

والى الأمور الثلاثة يرجع قوله عليه السلام:«وليس للعاقل....» إلىٰ آخره.

٢٥٧ ـ لاَ تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ، وَبَلاَغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ(١).

ذرب اللسان: حدّته، أي قبيح لمن يحصّل من إنسان علماً وفائدة أن يستعين بها عليه، كأن يتفاصح على من علّمه الفصاحة، وهذا كمن ينعم على إنسان بسيفٍ فإنّه يقبح منه أن تقتله بذلك السيف ظلماً قبحاً زائداً على ما لو قتله بغيره. قال الشاعر:

أُعلّمه الرمايةَ كُلَّ يومٍ ... فلمّا استدَّ ساعدُه رَماني(٢)

وكم علّمتُه نظمَ القوافي ... فلمّا قال قافيةً هَجاني(٣)

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤١١.

(٢) قال السعدي الشيرازي، (كليات، ص ١٠١):

كس نياموخت علم تير از من ... كه مرا عاقبت نشانه نكرد

(٣) محاضرة الأدباء ١ / ٤٦. وفيه اشتدّ، بدل: استدّ.

٢٥٨ ـ لاَيَنْبَغِي لِلْعبدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ: اَلْعَافِيَةِ وَاَلْغِنَى. بيْنَا تَرَاهُ مُعَافىً إذْ سَقِمَ؛ وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذ اَفْتَقَرَ[١].

قد قال الشعراء في هذا المعنى كثيراً، ومنها قول الشاعر:

وربَّ غَـــنيٍّ عــظيم الثــراء
أمـــسى مُـــقلّاً عــديماً فــقيرا

وكم بـات مِـن مُترفٍ فـي القـصور
فعُوّض في الصبح عـنها القـبورا[٢]

وقال آخر:

وإذا مـا أعــارك الدهـر شيئاً　　　فــهو لابـدّ آخِـذٌ مـا أعـارا[٣]

٢٥٩ ـ لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ. خَيْرُ اَلْبِلاَدِ مَا حَمَلَكَ[٤].

مـا حـملك أي مـا حـمل مـؤونتك، ووجـدت فـيه صـلاح مـعاشك فأمكنك الإقامة به. قال الشاعر:

لي عن بـلاد الأذى والهـون مـتّسع　　　ما بين حرّ وبين الدارِ مـن نسب[٥]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٦.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٧١.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٧١.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٤٢.
(٥) البيت لعلي بن مقرّب البحراني، انظر شرح ابن ميثم ٥ / ٤٥٥.

حرف الميم

٢٦٠ ـ مَنْ ضَيَّعَهُ ٱلْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ ٱلْأَبْعَدُ[١].

أي ضيّعه وخذله قومه وأهله قدّر لمنفعته ومعونته الأبعد، فإنّ الإنسان قد ينصره مَنْ لا يرجو نصره وإنْ أهمله أقربوه وخذلوه، فقد تقوم به الأجانب من الناس، وقد وجدنا ذلك في حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ضيّعه رهطه من قريش وخذلوه، وتمالئوا عليه، فقام بنصره الأوس والخزرج، وهم أبعد الناس نسباً منه، لأنّه من عدنان وهم من قحطان.

وقامت ربيعة بنصر أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين، وهم أعداء مُضَر الذين هم أهله ورهطه.

وقامت الخراسانيّة ـ وهم عجم ـ بنصر الدولة العبّاسيّة، وهي دولة العرب[٢].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٤.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ١١٨.

٢٦١ ـ مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ[(١)].

هذه الكلمة قالها أمير المؤمنين عليه السلام لسعد بن أبي وقّاص، ومحمّد بن مسلمة، وعبدالله بن عمر لمّا امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل[(٢)].

وقال فيهم أيضاً:

٢٦٢ ـ خَذَلُوا ٱلْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا ٱلْبَاطِلَ[(٣)].

ونظير قوله عليه السلام: «ما كلّ مفتون يعاتب» أو قريب منه قول أبي الطيّب:

فما كلّ فعّالٍ يجازى بفعله ... ولا كلّ قوّالٍ لديّ يجابُ
وربّ كلام مرّ فوق مَسامعي ... كما طنّ في لوح الهجير ذبابُ[(٤)]

قال ابن ميثم: الفتنة قد تكون في الدين، وقد تكون في الدنيا وقد تكون فيهما، وعلى التقديرات فقد تلحق الإنسان بسبب منه من جهل بسيط أو مركّب، وقد تلحقه بأسباب قدريّة خارجيّة معلومة وغير معلومة. والذي يعاتب على فتنته من هؤلاء مَن كانت أسباب فتنته منه أو بعضها كوقوع الفتنة لمصاحبة الفسّاق ونحوه.

هذا إذا حملنا اللفظ على ظاهره، ويحتمل أن يريد: ليس كلّ مفتون ينفع معه العتاب[(٥)].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٥.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد، ١٨ / ١١٩.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٨.
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ١١٩.
(٥) شرح النهج لابن ميثم ٥ / ٢٤٦.

٢٦٣ ـ مَنْ جَرَى في عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ[١].

روى أبو سعيد الخُدْريّ أنّ أسامة بن زيد اشترى وليدةً بمائة دينار إلىٰ شهر! فقال رسول الله ﷺ: ألا تعجبون من أسامة يشتري إلىٰ شهر! إنّ أسامة لطويل الأمل[٢].

قال أبو عثمان الهنديّ: قد بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة، فما من شيء إلّا قد عرفت النقص فيه إلّا أملي، فإنّه كما كان.

كما قال الشاعر:

أراك تـزيدك الأيّـام حِـرصاً ... عـلى الدّنـيا كأنّك لا تـموتُ
فـهل لك غـاية إن صـرتَ يـوماً ... إليها قلتَ حَسبي قـد رضـيتُ[٣]

٢٦٤ ـ مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ [نَسَبُهُ ـ خ ل][٤].

هذا الكلام حثّ وحضّ وتحريض على العبادة، وله نظائر كثيرة.

٢٦٥ ـ وفي رواية أُخرىٰ: **مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ آبائِهِ**[٥].

كان يقال: أجهل الناس مَنْ افتخر بالعظام البالية، وتبجّح[٦] بالقرون الماضية، واتّكل على الأيّام الخالية.

قال الشاعر:

كنِ ابنَ مَـنْ شـئت واكـتسبْ أدبـاً ... يُـغنيك مـحـموده عـن النّسبِ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٩.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ١٢٧.
(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ١٢٧.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٣.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٩.
(٦) أي سرّ و فرح، منه رحمه الله.

إنّ الفـتى مَـنْ يـقول هـا أنـا ذا   ليس الفتى مـن يـقول كـان أبـي[١]

٢٦٦ ـ مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ[٢].

قد جاء في هـذا المـعنى آثـار كـثيرة وأخـبار جـميلة لا يـتّسع لذكـره نطاق البيان.

٢٦٧ ـ مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ[٣].

الفلتة: الأمر يقع من غير تروّ. وصفحة الوجه: بشرته.

وما قاله عليه السلام شهدت به التجربة. قال الشاعر:

تخبّرني العينانِ ما القلبُ كاتمٌ   وما جنّ بالبغضاء والنظر الشَّزْرِ[٤]

٢٦٨ ـ مَنْ أَسْرَعَ إِلَىٰ النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا فِيهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ[٥].

هذا المعنى كثير واسع ولنقتصر على حكاية مختصرة:

روي عن أبان بن الأحمر أنّ شريك ابن الأعـور دخـل عـلى مـعاوية، فقال له: والله إنّك لشريك وليس له شـريك، وإنّك لابـن الأعـور والبـصير خيرٌ من الأعـور، وإنّك لدمـيم والجـيّد خـير مـن الدمـيم، فكـيف سـدت قومك؟ قال: إنّك معاوية ومامعاوية إلّا كلبة عوت فاستعوت [واستعرت – خ ل]، وإنّك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنّك لابن حرب والسلم

---

(١) في الديوان المنسوب الى الامام علي عليه السلام ص٣٧، وبعده:

فليس يغني الحسيب نسبته   بل لسان له ولا أدبِ.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٦.

(٤) شرح النهج لابن ابي الحديد ١٨ / ١٣٧.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥. وفيه: بما لا يعلمون.

خـير مـن الحـرب، وإنّك لابـن أُميّة ومـا أمـيّة إلّا تـصغير أمـة صـغّرت فاستصغرت، فكيف صرت أمير المؤمنين؟ فغضب معاوية وخرج شريك وهو يقول:

أيشـتمني مـعاوية بـن صـخر	وسـيفي صـارمٌ ومـعي لسـاني
وحـولي مـن ذوي يـزن ليـوثٌ	ضـراغـمة تـهشُّ إلىٰ الطـعانِ
فـلا تـبسط عـلينا يـا ابـن هـند	لسانك إن بلغت ذرى الأماني[1]

٢٦٩ ـ مَنْ أَطَالَ ٱلْأَمَلَ أَسَاءَ ٱلْعَمَلَ[2].

لمّا كان طول الأمل في الدّنيا مستلزماً للإقبال عـليها والانـهماك فـي العمل لها والغفلة عن الآخرة، كان ذلك عملاً سيّئاً بالنسبة إلىٰ الآخرة.

وقد تقدّم منّا كلام في الأمل.

٢٧٠ ـ ٱلْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ[3].

كان يقال: ثلاثة يؤثرون المال على أنـفسهم: تـاجر البـحر، والمـقاتل بالأجرة، والمرتشي في الحكم، وهو شرّهم، لأنّ الأوّليـن ربّـما سـلما، ولا سلامة للثالث من الإثم[4].

٢٧١ ـ مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ[5].

هذا مثل قولهم: اتّبع أمر مُبكياتك، لا أمر مُضحكاتك[6].

---

(١) أعيان الشيعة ج ٧، ص ٣٤٤، وسفينة البحار للمؤلف ج ١، ص ٦٩٧.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٥٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٣.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٥٩.

(٦) مجمع الأمثال ج ١، ص ٥٩.

ومثله: صديقك مَنْ نهاك، لا مَنْ أغراك[١].

وبالفارسيّة يقولون: دوست آن است كه بگرياند، دشمن آن است كه بخنداند[٢].

قال الشاعر:

بــه نــزد مــن آن كس نكــو خــواه تست
كـــه گـــويد فـــلان خـــار در راه تست
چــه خـوش گـفت يک روز دار و فـروش
شـــفا بـــايدت داروى تـــلخ نـــوش[٣]

ثمّ اعلم أنّ التحذير هو النصح، وهو تعريف الإنسان ما فيه صلاحه، ودفع المضرّة عنه.

ومعنى قوله عليه السلام: «كمن بشّرك»، أي ينبغى لك أن تسرّ بتحذيره لك، كما تسرّ لو بشّرك بأمرٍ تحبّه، وأن تشكره على ذلك، كما تشكر لو بشّرك بأمر تحبّه، لأنّه لو لم يكن يريد بك الخير لما حذّركمن الوقوع في الشرّ.

٢٧٢ ـ اَلْمَرأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ[٤].

استعار للمرأة لفظ العقرب باعتبار أنّ من شأنها الأذى، لكن أذاها مشوب بما فيها من اللذّة بها، وهو كأذى الجرب المشوب بلذّته في زيادة حكّته.

اللّسبة: اللّسعة، لَسبتْه العقرب ـ بالفتح ـ ولسبت العسل ـ بالكسر ـ:

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٥.
(٢) أمثال و حكم دهخدا ٢ / ٨٣٦
(٣) كليلت سهعدي ص ٢٥٩.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٦١.

لعقتْه.

ومنه قولهم: من الفواقر امرأة سَوءٍ إن حضرتها لسبتك، وإن غبتَ عنها لم تأمنها[١].

قد أكثروا القول في ذمّ النساء، ولا يناسب كتابنا الطويل.

نظر حكيم إلىٰ امرأة مصلوبة على شجرة، فقال: ليت كلّ شجرة تحمل مثل هذه الثمرة[٢].

كتب فيلسوف على باب داره: ما دخل هذا المنزل شرّ قطّ، فقال بعضهم: اكتب: إلّا المرأة[٣].

وفي كلام الحكماء: اعص هواك والنساء، وافعل ما شئت[٤].

وفي الحديث: المرأة ضِلَع عوجاء إن داريتها استمتعتَ بها، وإن رُمت تقويمها كسرتها[٥].

قال الشاعر في هذا المعنى:

هي الضِّلَع العوجاء لستَ تقيمها
ألا إنّ الضّلوع انكسارُها
أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتىٰ
أليس عجيباً ضعفُها واقتدارُها![٦]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٢٠٠.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٨.
(٣) نفس المصدر.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ١٩٩.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

ومن كلامهم: ليس ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة إلّا بعد موتها[١].

وفي الأمثال: لا تحمدنّ أمةً عام شرائها، ولا حرّة عام بنائها[٢].

وكان يقال: ما نهيتْ امرأة عن أمر إلّا أتته[٣].

وقال حكيم: أضرّ الأشياء بالمال والنفس والدين والعقل والعِرض شدّة الإغرام بالنساء، ومن أعظم ما يبتلى به المغرم بهنّ أنّه لا يقتصر على ما عنده منهنّ ولو كنّ ألفاً، ويطمح إلىٰ ما ليس له منهنّ[٤].

وقال بعض الحكماء: مَن يحصي مساوئ النساء؟! اجتمع فيهنّ نجاسة الحيض والاستحاضة، ودم النفاس، ونقص العقل والدين، وترك الصوم والصلاة في كثير من أيّام العمر، ليست عليهنّ جماعة ولا جمعة، ولا يسلّم عليهنّ، ولا يكون منهنّ إمام ولا قاضٍ ولا أمير، ولا يسافرن إلّا بوليّ[٥].

قلت: وكفى في هذا المقام كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «معاشر الناس إنّ النساء...»[٦].

٢٧٣ ـ مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ[٧] بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ تَأْدِيبِه بِلِسَانِهِ؛ وَمُعَلِّم نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحقُّ بِالْإِجْلَالِ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجمع الأمثال ٣ / ١٥٤.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٢٠٠.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة ٨٠

(٧) في النهج: فليبدأ.

مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ ومُؤَدِّبِهِمْ[١].

اعلم أنّ الفروع تابعة للأصول، فإذا كان الأصل معوجّا استحال أن يكون الفرع مستقيماً، كما قال صاحب المَثَل: «وهل يستقيم الظلّ والعود أعوج»،[٢] فمن نصب نفسه للناس إماماً، ولم يكن قد علّم نفسه ما[٣] انتصب ليعلّمه الناس، كان مثل من نصب نفسه ليعلّم الناس الصياغة والنجارة، وهو لا يحسن أن يصوغ خاتماً، ولا ينجر لوحا، وهذا نوع من السفه، بل السفه كلّه.

ثمّ قال عليه السلام: وينبغي أن يكون تأديبه لهم بفعله وسيرته قبل تأديبه لهم بلسانه، وذلك لأنّ الفعل أدلّ على حال الإنسان من القول، والطباع لمشاهدة الأفعال أطوع وأسرع انفعالاً منها للأقوال. ولهذا قال بعض الخلفاء: أنتم إلىٰ إمام فعّال أحوج منكم إلىٰ إمام قوّال.

ثمّ رغّب في تأديب النفس بكون مؤدّب نفسه أحقّ بالتعظيم والإجلال من مؤدّب غيره، لأنّ من علّم نفسه محاسن الأخلاق أعظم قدراً ممّن تعاطى تعليم الناس ذلك وهو غير عامل بشيء منه.

٢٧٤ ـ مَنْ تَرَكَ قَوْلَ «لاَ أَدْرِي» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ[٤].

ترك هذا القوال كناية عن القول بغير علم، وإصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والإضلال وربّما يكون بسببه هلاك الدّنيا والآخرة.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٧٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٢٠.

(٣) «ما» مفعول علم، منه رحمه الله.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٨٥.

جاءت امرأة إلىٰ بزرجمهر، فسألته عن مسألة، فقال: لا أدري، فقالتْ: أيعطيك الملك كلّ سنة كذا وكذا وتقول: لا أدري، فقال: إنّما يعطيني الملك على ما أدري، ولو أعطاني على ما لا أدري لما كفاني بيت ماله[١].

وكان يقول: «لا أعلم» نصف العلم[٢].

٢٧٥ـ مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللهِ أَصْلَحَ ٱللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ ٱللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْياهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ واعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱللهِ حَافِظٌ[٣].

مثل الكلمة الأولى قولهم: رضا المخلوقين عنوان رضا الخالق.

والسرّ في ذلك أنّ رضا الخالق يكون بالتقوىٰ، ومن تقوى العبد إصلاح قوّتي الشهوة والغضب اللذين هما مبدءا الفساد بين الناس ولزوم العدل فيهما، فإذا جانب العبد من الفساد بين الناس رضي الناس عنه.

وإلى مفاد الكلمة الثانية أشار بعض من دعا في قوله:

أنا شاكر أنا مادح أنا حامد
أنا خائف أنا جائع أنا عارِ
هي ستّةٌ وأنا الضّمين بنصفها
فكنِ الضّمين بنصفها ياباري[٤]

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٢٣٦.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٨٩
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٢٤٢.

ومثل الكلمة الثانية قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[١].

٢٧٦ ـ مَثَلُ الدُّنْيا كَمَثَلِ ٱلْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّها، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ في جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْها ٱلْغِرُّ ٱلْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ ٱلْعَاقِلُ[٢].

قد أخذ أبو العتاهية هذا المعنىٰ فقال:

إنّما الدهر أرقمٌ ليّن المسّ
وفي نابه السِّقامُ العُقامُ[٣]

٢٧٧ ـ مَنْ قَصَّرَ في ٱلْعَمَلِ ٱبْتُلِيَ بِالْهَمِّ، وَلاَ حَاجَةَ لِلّهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلّهِ في مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصيبٌ[٤].

قوله عليه السلام: «من قصّر في العمل»، هذا مخصوص بأصحاب اليقين، والاعتقاد الصحيح، فإنّهم الذين إذا قصّروا في العمل ابتلوا بالهمّ، فأمّا غيرهم من المسرفين على أنفسهم وذوي النقص في اليقين والاعتقاد، فإنّه لا همّ يعروهم وإن قصّروا في العمل.

وقال ابن ميثم: المقصّر في العمل لله يكون غالب أحواله متوفّراً على الدّنيا مفرطاً في طلبها وجمعها، وبقدر التوفّر عليها يكون شدّة الهمّ في جمعها وتحصيلها أوّلاً، ثمّ في ضبطها والخوف على فواتها ثانياً. وفي المشهور: «خذ من الدّنيا ما شئت ومن الهمّ ما ضعفه». فنفّر عليه السلام عن التقصير في الأعمال البدنيّة والماليّة بقوله: ولا حاجة لله..الى آخره. وكنّى

---

(١) النحل (١٦) / ١٢٨.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١١٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٢٨٤.

(٤) نهج البلاغة، الحكمه ١٢٧.

بعدم حاجته فيه عن إعراضه عنه وعدم النظر إليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك[١].

٢٧٨ ـ مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْاجابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْاِسْتِغْفارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيادَةَ[٢].

قال الرضيّ: وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه، قال في الدعاء: ﴿ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣].

وقال في الاستغفار: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٤]. وقال في الشكر: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٥].

وقال في التوبة: ﴿إِنَّما التَّوبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٦].[٧]

الأمور الأربعة الأولى إذا كانت بإخلاص كان كلّ منها سبباً في إعداد النفس لقبول صورة الرحمة الإلهيّة من واهبها.

٢٧٩ ـ مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ[٨].

أي: ما افتقر من أنفق بقدر الحاجة المتعارفة، وذلك لأنّ قدر الحاجة

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن ميثم ٥ / ٣١٠.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٥.

(٣) غافر (٤٠) / ٦٠.

(٤) النساء (٤) / ١١٠.

(٥) إبراهيم (١٤) / ٧.

(٦) النساء (٤) / ١٧.

(٧) نهج البلاغة، ص ٤٩٤.

(٨) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٠.

من المال قد تكفلّ الله تعالى بإدراره مدّة البقاء وهو ما لابدّ للمقتصد منه. قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُروا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[١].

٢٨٠ ـ ٱلْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ[٢].

أي حاله مستور عند عدم نطقه، وتحت لسانه كناية عن سكوته، وذلك لأنّ مقداره بمقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه.

وهذه اللفظة لا نظير لها في الإيجاز والدلالة على المعنى، وهي من ألفاظه المعدودة.

وإليه أشار سعديّ في نظمه بالفارسيّة:

تا مرد سخن نگفته باشد ... عيب وهنرش نهفته باشد[٣]

٢٨١ ـ مَا ٱخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إلّا كَانَتْ إِحْدَاهُما ضَلالَةً[٤].

لمّا كانت الدعوة إمّا إلىٰ الحقّ أو إلىٰ غيره، وكان كلّ ما عدا الحقّ ممّا يدعى إليه فهو ضلال عن الحقّ وعدول عن سبيل الله لا جرم لم تختلف دعوتان إلّا كانت إحداهما حقّاً والأُخرىٰ ضلالة.

٢٨٢ ـ مَا كَذَبْتُ وَلاَ كُذِّبْتُ، وَلاَ ضَلَلْتُ وَلاَ ضُلَّ بي[٥].

هذه كلمةٌ قد قالها مراراً، إحداهنّ في وقعة النهروان[٦].

---

(١) الفرقان (٢٥) / ٦٧.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٨.

(٣) كليات سعدي، ص ٧٩.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٣.

(٥) نفس المصدر، الحكمة ١٨٥.

(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٣٦٨.

ولا كُذِّبْتُ ـ بالضمّ ـ أي لم يخبرني رسول الله ﷺ عن المُخْدَج[١] خبراً كاذباً، لأنّ أخباره ﷺ كلّها صادقة.

٢٨٣ ـ مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ[٢].

أي: مَن نابذ الله وحاربه هلك، يقال لمن خالف وكاشف: قد أبدىٰ صفحته[٣].

٢٨٤ ـ ما شَككتُ في الحَقِّ مُذ رأيتُه[٤].

أي: منذ أُعْلِمْتُه، ويجب أن يقدّر هاهنا مفعول محذوف، أي منذ أريته حقّاً، لأنّ «أرى» يتعدّى إلىٰ ثلاثة مفاعيل.

٢٨٥ ـ مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلاَ يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ[٥].

لأنّه هو السبب في إساءة الظنّ بنفسه.

قال ابن أبي الحديد: رأى بعض الصحابة رسول الله ﷺ واقفاً في درب من دروب المدينة ومعه امرأة فسلّم عليه، فردّ عليه، فلمّا جاوزه، ناداه فقال: هذه زوجتي فلانة، قال: يا رسول الله، أوفيك يظنّ!

فقال: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[٦].

٢٨٦ و ٢٨٧ ـ مَنْ مَلَكَ ٱسْتأْثَرَ، وَمَنِ ٱسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجالَ

---

(١) المخدج: ناقص اليد، وهو ذوالثدية كبير الخوارج؛ قُتل يوم النهران(سفينة الجارا / ١٢٩).

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٨.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٣٧١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٤.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ١٥٩.

(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٣٨٠.

شَارَكَهُمْ في عُقُولِهِمْ[١].

هذه ثلاث كلمات: تريد بِالأولى: أنّ الأغلب في كلّ ملك أن يستبدّ ويستأثر على الرعيّة بالمال والعزّ والجاه، وذلك لتسلّطهم وعدم المنازع لقواهم الأمّارة بالسوء.

ونحو هذا المعنى قولهم: مَن غَلَب سَلَب، ومَنْ عَزَّبزَّ[٢].

وأريد بالثانية: أنّ من انفرد برأيه، ولم يقبل النصيحة فهو في مظنّة الهلاكة، وذلك معلوم.

وبالثالثة: الترغيب في الاستشارة، وذلك لأنّه يستنتج منها الرأي الأصلح ليعمل به.

قالوا: المشورة لقاح العقول، ورائد الصواب.

ومن ألفاظهم البديعة: ثمرة رأي المشير أحلى من الأري المشور[٣].

٢٨٨ ـ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ ٱلْخِيَرَةُ بِيَدِهِ[٤].

أي كان مختاراً في إذاعته وكتمانه بخلاف مَنْ أذاع سرّه، فإنّه لا يتمكن بعد ذلك من كتمانه.

قال الشاعر:

فلا تُفْشِ سرّك إلّا إليك ... فإنّ لكلّ نصيح نصيحا[٥]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٠ و ١٦١. وفيه: شاركها في عقولها.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٣٨١.
(٣) الأري: العسل، والمشور: المستخرج، راجع شرح ابن الحديد ١٨ / ٣٨٣.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٢.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٨٤.

٢٨٩ ـ مَنْ قَضىٰ حَقَّ مَنْ لاَ يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَّدَهُ[١].

عبّده ـ بالتشديد ـ أي: اتّخذه عبداً، والمقصود مدح من يقضي حقّ من لا يقضي حقّه، أي من فعل ذلك بإنسان فقد استعبد ذلك الإنسان، لأنّه لم يفعل ذلك معه مكافأة له عن حقّ قضاه إيّاه، بل فعل ذلك إنعاماً مبتدأ، فقد استعبده بذلك.

٢٩٠ ـ مَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ ٱلْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ ٱلْخَطَأ[٢].

لا شكّ أنّ المتصفّح لوجوه الآراء والمفكّر في أيّها أصوب لابدّ أن يعرف مواقع الخطأ في الأمور ومظانّها ـ وهو ترغيب في الاستشارة والفكر في استصلاح الأعمال.

٢٩١ ـ مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ ٱلْغَضَبِ لِلَّهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ ٱلْبَاطِلِ[٣].

هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعنى أنّ من أرهف عزمه على إنكار المنكر، وقوي غضبه في ذات الله، ولم يخف مخلوقاً أعانه الله على إزالة المنكر وإن كان قويّاً.

٢٩٢ ـ مَنْ لَمْ يُنْجِحْهُ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ ٱلْجَزَعُ[٤].

يحتمل أن يريد بالهلاكة هلاكة الدّنيا، أو هلاكة الآخرة أو كليهما، فإنّ الجزع سبب لكلّ ذلك.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٦٤.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٣.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٤.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٩.

٢٩٣ ـ مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ ٱلْاِنْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ صَبَرْتَ! أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ![١].

هذا الفصل فصيح لطيف المعنى، أي لا سبيل لي إلىٰ شفاء غيظي عند غضبي، لأنّي إمّا أن أكون قادراً على الانتقام فيصدّني عن تعجيله قول القائل: لو عفوت لكان أولىٰ! وإمّا أن لا أكون قادراً فيصدّني عنه كوني غير قادر عليه.

٢٩٤ ـ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ، وَمَنِ ٱعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ[٢].

قد جاء في الحديث: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا[٣].

قوله عليه السلام: «ومن خاف أمن» أي من اتّقى الله أمن من عذابه.

«ومن اعتبر أبصر» أي من قاس الأمور بعضها ببعض، واتّعظ بآيات الله وأيّامه أضاءت بصيرته، ومن أضاءت بصيرته فهم، ومن فهم علم.

والفهم هاهنا معرفة المقدّمات، والعلم هو معرفة النتيجة[٤].

٢٩٥ ـ مَنْ لاَنَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ[٥].

تكاد هذه الكلمة أن تكون إيماء إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَلَدُ الطَّيِّبُ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٩٤.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٨.

(٣) أمالي المفيد، ص ٢٧٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٨.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٤.

يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[١].

والمعنى أنّ من حسن خلقه، ولانت كلمته كثر محبّوه وأعوانه وأتباعه.

ونحوه قوله: مَنْ لانت كلمته، وجبت محبّته[٢].

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣]، والأصل في الكلمة أنّه إذا كان اليبس غالباً على شجرة كانت أغصانها أخفّ، وكان عودها أدقّ، وإذا كانت الرطوبة غالبة كانت أغصانها أكثر، وعودها أغلظ؛ وذلك لاقتضاء اليبس الذبول، واقتضاء الرطوبة الغلظ والعبالة والضخامة، ألا ترى أنّ الإنسان الذي غلب اليبس على مزاجه لا يزال مهلوساً نحيفاً، والذي غلبت الرطوبة عليه لا يزال ضخماً عبلاً.

٢٩٦ ـ مَنْ نَالَ ٱسْتَطَالَ[٤].

يجوز أن يريد به: من أثرى ونال من الدّنيا حظّاً استطال على الناس.

ويجوز أن يريد به: مَنْ جاد استطال بجوده.

يقال: نالني فلان بكذا، أي جاد به عليّ، ورجل نالٌ، أي جواد[٥].

٢٩٧ ـ مِنْ أَشْرَفِ أَفْعَالِ ٱلْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ[٦].

أي تغافله وإغضاؤه عمّا يعلم من معائب الناس، ومن هفواتهم.

---

(١) الأعراف (٧) / ٥٨.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٣٥.

(٣) آل عمران (٣) / ١٥٩.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢١٦.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٣٧.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٢. وفيه: من أشرف أعمال الكريم.

وكان يقال: التغافل من السؤدد[١].

وقال أبو تمّام:

ليس الغبيّ بسيّدٍ في قومه   لكنّ سيّد قومه المُتغابي[٢]

٢٩٨ ـ مَنْ كَسَاهُ ٱلْحَيَاءُ ثَوْبَهُ، لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ[٣].

قيل: الحياء انقباض النفس عن القبائح، وهو من خصائص الإنسان، وهو خلق مركّب من جبن وعفّة، ولذلك لا يكون الفاسق مستحياً، ولا المستحي فاسقاً. وقلّما يكون الشجاع مستحياً والمستحيي شجاعاً، ولعزّة وجود ذلك ما يجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والحياء[٤].

٢٩٩ ـ مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ ٱللهِ سَاخِطاً، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ، فَإِنَّما يَشْكُو رَبَّهُ[٥]**، وَمَنْ أَتى غَنِيّاً فَتَواضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ، وَمَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ ٱللهِ هُزُواً، وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيا ٱلْتَاطَ مِنْها**[٦] **بِثَلاَثٍ: هَمٍّ لاَ يُغِبُّهُ، وَحِرْصٍ لاَ يَتْرُكُهُ، وَأَمَلٍ لاَ يُدْرِكُهُ**[٧].

قيل في قوله عليه السلام: «ومَن أتى غنيّاً..» إلىٰ آخره وجوهاً، منها: أنّ مدار الدين على الاعتقاد بالقلب والإقرار باللّسان والعمل بالأركان، ومن شأن

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٤٤.

(٢) ديوان أبي تمام، ص ٢٨.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٣.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٤٥.

(٥) في النهج: فقد أصبح يشكو ربّه.

(٦) في النهج: التاط قلبه منها.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٨.

المتواضع للغنيّ لغناه اشتغال لسانه بمدحه وشكره، واشتغال جوارحه بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره، فهو مهمل لثلثي دينه.

قوله عليه السلام: «التاط بقلبه» أي لصق. و«لا يغبّه»، أي لا يأخذه غبّا ـ وهو يوم ويوم لا ـ بل يلازمه دائماً، وذلك لأنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة، وحبّ الدّنيا هو الموجب للهمّ والغمّ والحرص والأمل والخوف على ما اكتسبه أن ينفد، والشحّ بما حوت يده، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة.

٣٠٠ ـ مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ ٱلْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ[١].

قال الرضيّ رحمه الله: ومعنى ذلك أنّ ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبرّ ـ وإن كان يسيراً ـ فإنّ الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً، واليدان هاهنا عبارة عن النعمتين، ففرق بين نعمة العبد ونعمة الربّ تعالى ذكره، بالقصيرة والطويلة، فجعل تلك قصيرةً وهذه طويلةً، لأنّ نعم الله أبداً تضعّف على نعم المخلوقين أضعافاً كثيرة؛ إذ كانتْ نعم الله أصل النعم كلّها، فكلّ نعمة إليها ترجع، ومنها تنزع[٢].

٣٠١ ـ ٱلْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَشَرُّ ما فِيها أَنَّهُ لاَبُدَّ مِنْها![٣].

أي أنّ أحوالها كلّها شرّ على الرجل؛ أمّا من جهة مؤونتها فظاهر، وأمّا من جهة لذّتها واستمتاعه بها فلاستلزام ذلك، البعد عن الله والاشتغال عن طاعته.

وأسباب الشرّ شرور وإن كانت غرضيّة. ولمّا كان كونها لابدّ منها، أعني وجوب الحاجة إليها في طبيعة الوجود الدنيويّ هو السبب في

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٠٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٨.

تحمّل الرجل للمرأة، ووقوعه في شرورها وجب أن يكـون ذلك الاعـتبار أقوى الشرور المتعلّقة بها، لأنّ السبب أقوى من المسبّب[١].

٣٠٢ ـ مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ[٢].

الواشي: النّمام.

٣٠٣ ـ مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ[٣].

من كلام بعضهم: إنّي لأستحيي أن يأتـيني الرجـل يـحمرّ وجـهه تـارة من الخجل، ويصفرّ أُخرىٰ من خوف الردّ قد ظـنّ بـي الخـير وبـات عـليه وغدا عليّ أن أردّه خائباً[٤].

٣٠٤ ـ مَرَارَةُ الدُّنْيا حَلاَوَةُ الآخِرَةِ، وَحَلاَوَةُ الدُّنْيا مَرارَةُ الآخِرَةِ[٥].

لمّا كانت الدنيا ضدّ الآخرة وجب أن يكون مـرارة آلام الدّنـيا اللازمـة عن ترك اللذّة طـلباً للآخـرة مسـتلزمة لحـلاوة الآخـرة ولذّاتـها، وكـذلك العكس.

٣٠٥ ـ مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ[٦].

٣٠٦ ـ مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيءٍ «طُوبىٰ لَهُ» إلاّ وَقَدْ خَبأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ[٧].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥ / ٣٦١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤٨. وهذا كلامه لولده الحسين عليهما السلام.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٨٢.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥١.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٠. و هذا مثل قـولهم فـى المـثل: ليـل طـويل و أنت مـقمر! (جـمهرة الأمثال ٢ / ١٨٩).

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٦.

أي: ما استحسن الناس من الدنيا شيئاً إلّا وفي قوّة الدهر إعداد لفساده وإهلاكه يوماً ما. وقد شاهدنا ذلك في الدّنيا كثيراً.

٣٠٧ ـ مَا أَكْثَرَ ٱلْعِبَرَ وَأَقَلَّ ٱلاعْتِبَارَ![١].

ما أوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها! ولا ريب أنّ العبر كثيرة جدّاً، بل كلّ شيء في الوجود ففيه عبرة، ولا ريب أنّ المعتبرين بها قليلون، وأنّ الناس قد غلب عليهم الجهل والهوى، وأرداهم حبّ الدنيا، وأسكرهم خمرها، وأنّ اليقين في الأصل ضعيف عندهم، ولولا ضعفه لكانت أحوالهم غير هذه الأحوال.

٣٠٨ ـ مَنْ بَالَغَ في ٱلْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيها ظُلِمَ، وَلاَ يَسْتطيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ[٢].

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر: الغالب بالشرّ مغلوب[٣].

وكان يقال: ما تسابّ اثنان إلّا غلب ألأمهما.

وقد نهى العلماء عن الجدل والخصومة في الكلام والفقه، وقالوا: إنّهما مظنّة المباهاة وطلب الرئاسة والغلبة، والمجادل يكره أن يقهره خصمه؛ فلا يستطيع أن يتّقي الله. وهذا هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعينه[٤].

٣٠٩ ـ مَا أَهَمَّنِي أَمْرٌ [ذَنْبٌ ـ خ ل] أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتّى أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٩٧.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٩٨.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٠٤.

وَأَسْأَلَ ٱللهَ ٱلْعَافِيَةَ[١].

أي: ما أحزنني ذنب أمهلني الله بعده حتّى أُصلّي ركعتين، لأنّ الصلاة تكفّر الذنب.

قال السيّد الطباطبائي ﷺ في «الدرّة»[٢]:

وإنّـهـا لَـلْحَسَناتُ المُـذهبةْ	للسـيّئات والمعاصي المُوجَبةْ
وشأنُـهاكشأن نَـهْرٍ جـارِ	تَـقْلَعُ رَيْـنَ الذنْبِ بـالتكرارِ
تـنهى عـن المنكر والفحشاءِ	أُقـصُرْ فـذاكَ مُـنتهى الثـناءِ[٣]

٣١٠ ـ مَا ٱلْمُبْتَلى ٱلَّذِي قَدِ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْبَلاَءُ، بِأَحْوَجَ إِلىٰ ٱلدُّعاءِ مِنَ ٱلْمُعَافَى ٱلَّذي لاَ يأْمَنُ ٱلْبلاَءَ[٤].

أي إنّهما سواء في الحاجة إلىٰ دعاء الله؛ فذاك لحاجته إلىٰ الخلاص من بلائه، وهذا لبقاء عافيته وأمنه من لحوق البلاء. وهو حثّ لأهل العافية على الدعاء والتضرّع إلىٰ الله تعالى.

٣١١ ـ مَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ[٥].

وذلك لأنّ الغيور إذا همّ بالزنا تخيّل مثل ذلك في نفسه من الغير، فيعارض خياله داعيه فيحجم عنه.

فقد ورد: من زنى زُني به ولو في عقب عقبه[٦].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٩٩.

(٢) الدّرة المنظومة في الفقه للسيّد بحر العلوم الشهير بالعلاّمة الطباطبائي ﷺ.

(٣) نفس المصدر، باب الصلاة.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٢. وفيه: بأحوج الى الدعاء الذي.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٥.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢١١.

وهذا قد جرّب فوجد حقّاً،وقلّ مَنْ ترى مقداماً على الزنـا إلّا والقـول في حرمه وأهله وذوي محارمه كثير فاش.

٣١٢ ـ مَوَدَّةُ ٱلآبَاءِ قَرابَةٌ بَيْنَ ٱلأَبْنَاءِ، وَٱلْقَرَابَةُ أَحْوَجُ إِلىٰ ٱلْمَوَدَّةِ مِنَ ٱلْمَوَدَّةِ إِلىٰ ٱلْقَرَابَةِ(١).

استعار لفظ القرابة للمودّة المتأكّدة بين الأبناء فهى كالقرابة.

قال الشاعر:

أبـقى الضَّـغائنَ آبـاءٌ لنـا سـلفوا ... فـلـن تـبيدَ وللآبـاء أبـناءُ(٢)

وورد: الحبّ والبغض يتوارثان(٣).

ومن كلام بعضهم، لمّا قيل له: أيُّـما أحبّ إليك؟ أخـوك أم صـديقك؟ [فقال:] إنّما أحبّ أخي إذا كان صديقاً(٤).

فالقربى محتاجة إلىٰ المودّة، والمودّة مستغنية عن القربىٰ.

٣١٣ ـ مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ ٱلإِثْمُ بِهِ، وَٱلْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ(٥).

هذا مثل قوله عليه السلام: من بالغ في الخصومة أَثم. إلىٰ آخره(٦).

٣١٤ ـ ٱلْمَسْؤولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ(٧).

قد كثر القول في الوعد والمطْل. ومن كلام يـحيى بـن خـالد لبـنيه: يـا

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٨. وفيه: و القرابة الى المودّة أحوج.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٢١٤.

(٣) نفس المصدر.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٢١٤.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٧.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٨.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٣٣٦.

بنيّ، كونوا أُسْداً في الأقوال، نُجّازاً في الأفعال، ولا تعدوا إلّا وتنجزوا، فإنّ الحرّ يثق بوعد الكريم، وربما ادّان عليه[١].

٣١٥ ـ مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَالاَ يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ مالا يَسْكُنُهُ، وَجَامِعِ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ، آسِفاً لاَهِفاً، قَدْ ﴿خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[٢][٣].

معاني هذه الفقرات واضحة، وكم قد شاهدنا من أمل ما لا يبلغه، ومن بنى ما لا يسكنه، وجمع ما تركه.

ولقد أحسن من قال:

واحسرتا مات حظّي من وصالكمُ
وللحظوظ كما للناس آجالُ
إنْ متّ شوقاً ولم أبلغ مَدى أملي
كم تحت هذي القبور الخُرْس آمالُ[٤]

٣١٦ ـ مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي[٥].

أي من أسباب العصمة، وذلك لأنّ الإنسان يتعوّد بتركها حين لا يجدها حتّى يصير ذلك ملكة له.

---

(١) شرح النهج لإبن أبي الحديد ١٩ / ٢٤٨.
(٢) سورة الحج (٢٢) / ١١.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٤.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٥٩.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٥.

٣١٧ ـ مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ[١].

قد أخذ الشعراء معنى هذا الكلام، وذكروها في أشعارهم.

قال الشاعر:

مــا مــاءُ كــفّيك إن أرسـلت مُـزنته

من ماء وجهي إذا استقطرته عوضٌ[٢]

٣١٨ ـ مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ، وَمَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ، وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ[٣]، فَأَنْكَرَهَا، ثُمَّ رَضِيَها لِنَفْسِهِ، فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ. وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيا بِالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيما يَعْنِيهِ[٤].

تلك عشرة كاملة، رابعها:«من كابد الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق»، أي من قاساها بنفسه استعدّ بها للهلاك. مثل هذا قول القائل:

مَن حارب الأيّام أصبح رمحُه

قَصِداً وأصبح سيفهُ مفلولا[٥]

وسادسها:«من كثر كلامه... إلىٰ قوله: دخل النار»؛ هذا تنفير عن

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٦.

(٢) البيت لأبي تمام، في ديوانه ص ٣٩٢.

(٣) في النهج: في عيوب الناس.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٦٥.

المنطق الزائد، وما فيه من المحذور.

وكان يقال: قلّما سلم مكثار، أو أمن مِن عثار[١].

وعاشرها: من علم أنّ كلامه... إلىٰ آخره، لا ريب أنّ الكلام عمل من الأعمال، وفعل من الأفعال، فكما يستهجن من الإنسان أن لا يزال يحرّك رأسه أو يده وإن كان عابثاً، كذلك يستهجن أن لا يزال يحرّك لسانه فيما هو عبث، أو يجري مجرى العبث.

٣١٩ ـ مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ ٱلْمِراءَ[٢].

ضنّ، أي بخل، وحدّ المراء الجدال المتّصل لا يقصد به الحقّ، ولا ريب أنّ المراء داعية ثوران القوّة الغضبيّة، من الممارين ومبدء المشاتمة والمسابّة.

قيل لميمون بن مِهران: مالكَ لا تفارق أخاً لكعن قلىً؟ قال: لأنّي لا أُشاريه ولا أُماريه[٣].

٣٢٠ ـ مِنَ ٱلْخُرْقِ ٱلْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ ٱلْإِمْكَانِ، وَٱلْأَنَاةُ بَعْدَ ٱلْفُرْصَةِ[٤].

الخرق: الحمق وقلّة العقل، وكلتا الجملتين دليل على الحمق والنقص.

٣٢١ ـ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيا عَلَى ٱللهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إلّا فيها، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إلّا

---

(١) نفس المصدر ١٩ / ٢٦٥.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٢.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٢٨٠.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٣.

بِتَرْكِهَا[١].

قد ورد في ذمّ الدّنيا أكثر من أن يحصى. وورد أنّ رسول الله ﷺ مر على شاة ميّتة، فقال: أترون أنّ هذه الشاة هيّنة على أهلها؟ قالوا: نعم، ومن هوانها ألقوها. فقال: والذي نفسي بيده لَلدّنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدّنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء[٢].

٣٢٢ ـ مَنْ طَلَبَ شَيئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ[٣].

هذا مثل قولهم: مَنْ طلب شيئاً وجدّ وجد، ومن قرع باباً ولجّ ولج[٤].

وظاهر أنّ الطلب معدّ لحصول المطلوب، فإن تمّ الإستعداد له نال الكلّ وإلّا فبقدر نقصان الإستعداد يكون نقصان المطلوب.

٣٢٣ ـ مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ ٱلْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ ٱلْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ، وَكُلُّ بَلاَءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ[٥].

«خير» برفع، اسم «ما» و«بعده النار» صفة له، وموضعه رفع، وموضع الجارّ والمجرور نصب لأنّه خبر ما، والباء زائدة، والتقدير: ما خير تتعقّبه النار بخير، وكذلك قوله عليه السلام: «ما شرّ بشرّ بعده الجنّة». والجملتان الأقربان تكونان كالتفسير للفقرتين الأوليين.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٩ / ٣٣٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٦.

(٤) شرح النهج لابن ميثم ٥ / ٤٣٥.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٧.

٣٢٤ ـ اَلْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ، وَالتَّقَلُّلُ وَلَا التَّوَسُّلُ[١].

أي المنيّة أسهل من الدنيّة، أي الخسيسة من الأمر ترتكب في طلب الدنيا. وهذا كما قال الحسين عليه السلام:

الموت أولى من ركوب العار ... والعار أولى من دخول النّارِ[٢]

ومعنى الفقرة الثانية أنّ القناعة بالقليل من العيش والتبلّغ به خير من التوسل إلىٰ أهل الدنيا في طلبها. قال الشاعر:

أُقسم بالله لَمصُّ النّوى ... وشربُ ماءِ القُلُبِ المالحهْ
أحسنُ بالإنسان من ذُلّه ... ومن سؤال الأوجه الكالحهْ
فاستغن بالله تكن ذا غنىً ... مغتبطاً بالصفقة الرابحهْ
فالزهد عزٌّ والتّقى سُؤددٌ ... وذلّة النفس لها فاضحهْ
كم سالم صيح به بغتة ... وقائلٍ عهدي به البارحهْ
أمسى وأمسَتْ عنده قَيْنةٌ ... وأصبحتْ تَنْدُبه نائحهْ
طوبىٰ لمن كانتْ موازينهُ ... يوم يلاقي ربّه راجحهْ[٣]

٣٢٥ ـ مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً[٤].

أي إنّ الرزق قد قسمه الله تعالى؛ فمن لم يرزقه قاعداً لم يجب عليه القيام والحركة. قال ولده الشهيد المظلوم عليه السلام:

وإنْ تكنِ الأرزاق قسماً مقدّراً
فقلّة حرص المرء في الرزق أجملُ[٥]

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٦.
(٢) البيان والتبيان للجاحظ ٣ / ٣٥٥.
(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٣٦٢.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٦.
(٥) اللهوف لابن طاووس، ص ٣١.

وقال الشاعر:

جرى قلمُ القضاء بما يكونُ   فسيّان التحرّكُ والسكونُ
جنونٌ منك أن تسعىٰ لرزقٍ   ويرزق في غشاوته الجنينُ[1]

٣٢٦ ـ مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ[2].

الغائله: الحقد، وذلك لأنّ مباعدة الناس في أخلاقهم تستلزم منافرتهم وعداوتهم وأحقادهم فالعدول عنها إلىٰ المقاربة المشاكلة يستلزم الأمن من ذلك منهم.

وكان يقال: إذا نزلتَ على قوم فتشبَّهْ بأخلاقهم؛ فإنّ الإنسان من حيث يوجد، لا من حيث يولد[3].

٣٢٧ ـ مَنْ أَوْمَأَ إِلىٰ مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ ٱلْحِيَلُ[4].

المتفاوت: كالأمور المتضادّة أو التي يتعذّر الجمع منه.

٣٢٨ ـ مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ ٱلْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ ٱللهِ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ ٱلْفُقَرَاءِ عَلَىَ ٱلْأَغْنِيَاءِ ٱتِّكَالاً عَلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ[5].

تيه الفقراء على الأغنياء أصعب عليهم وأشقّ من تواضع الأغنياء لهم. إذ كان تيههم يستدعي كمال التوكّل على الله، وهو درجة عالية في الطريق إليه، فلذلك كان أفضل وأحسن لقوله ﷺ: أفضل الأعمال

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٣٦٣.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠١.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ٣.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠٣.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠٦. ولا توجد كلمة «سبحانه» في النهج.

أحمزها[١].

قال الشاعر:

قنعتُ فأعتقتُ نفسي ولنْ ... أُملِّك ذا ثروةٍ رِقَّها
ونزّهتُها عن سؤال الرجالْ ... ومنّةِ من لا يرىٰ حقَّها
وإنّ القناعة كنز اللبيب ... إذا ارتقتْ فتقتْ رتقَها
فما فارقتْ مُهْجةٌ جسمَها ... لعمرك أو وُفِّيَتْ رزقَها[٢]

٣٢٩ ـ مَا ٱسْتَوْدَعَ ٱللهُ ٱمْرَأً عَقْلاً إلّا لِيَسْتَنْقِذَهُ به يوماً ما[٣].

العقل إمّا أن ينقذ الإنقاذ الدينيّ، وهو الفلاح والنجاح على الحقيقة، أو ينقذ من بعض مهالك الدنيا وآفاتها.

كان يقال: العاقل يُروّي ثمّ يَرْوي ويَخْبُر ثمّ يُخْبِر[٤].

٣٣٠ ـ مَنْ صَارَع ٱلْحَقَّ صَرَعَهُ[٥].

هذا مثل قوله عليه السلام: من أبدى صفحته للحقّ هلك[٦].

٣٣١ ـ مَنْ صَبَر صَبْرَ ٱلْأَحْرَارِ وَ إلّا سَلَا سُلُوَّ ٱلْأَغْمَارِ[٧].

وفي خبر آخر أنّه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزياً عن ابن له:

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥ / ٤٤١.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ٣٩.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠٧. في النهج: استنقذه.
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ٤١.
(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٤٠٨.
(٦) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٨.
(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٣.

٣٣٢ ـ إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ ٱلْأَكَارِمِ، وَإِلّا سَلَوْتَ سُلُوَّ ٱلْبَهَائِمِ(١).

الأغمار: الجهّال، جمع غمر. وذكر أبو تمّام هذا الخبر في قوله:

وقال عليٌّ في التّعازي لأشعثٍ
وخاف عليه بعض تلك المآثمِ

أتصبر للبلوى عزاءً وحِسْبةً
فتؤجر أم تسلو سُلُوَّ البَهائمِ(٢)

٣٣٣ ـ مِسْكِينٌ ٱبْنُ آدَمَ! مَكْتُومُ ٱلْأَجَلِ، مَكْنُونُ ٱلْعِلَلِ، مَحْفُوظُ ٱلْعَمَلِ، تُؤلِمُهُ ٱلْبَقَّةُ، وتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وتُنْتِنُهُ ٱلْعَرْقَةُ(٣).

«مسكين» خبر لـ«ابن آدم»، والتقدير: ابن آدم مسكين، ثمّ بيّن مسكنته من ستّة أوجه: أجله مكتوم لا يدري متى يخترم، وعلله باطنة لا يدري بها حتّى تهيج عليه، وعمله محفوظ: ﴿مَا لِهَذا ٱلْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إلّا أَحْصَاهَا﴾(٤)، وقرص البقّة يؤلمه، والشرقة بالماء تقتله، وإذا عرق أنتنته العَرقة الواحدة وغيّرت ريحه؛ فمن كان على هذه الصفات فهو مسكين لا محالة، لا ينبغي أن يأمن ولا أن يفخر.

٣٣٤ ـ مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ ٱللهُ عَلانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللهِ أَحْسَنَ ٱللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ(٥).

لا ريب أنّ الأعمال الظاهرة تبع للأعمال الباطنة، فمن صلح باطنه

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٤.

(٢) ديوان أبي تمّام، ص ٣٠٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤١٩.

(٤) الكهف (١٨) / ٤٩.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٣.

صلح ظاهره وبالعكس، وذلك لأنّ القلب أمير مسلّط على الجوارح، والرعيّة تتبع أميرها ولا ريب أنّ من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، قال تعالىٰ:﴿وَمَنْ يَتَّقِ ٱلله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَيَحْتَسِبُ﴾[1] ولهذا أيضاً علّة ظاهره؛ وهي أنّ الناس إذا حسنتْ عقيدتهم في إنسان وعلموا متانة دينه بوّبوا له إلىٰ الدنيا أبواباً لا يحتاج أنّ يتكلّفها، ولا يتعب فيها، فيأتيه رزقه من غير كلفة ولا كدٍّ.

وقوله:«ومن أحسن...» إلىٰ آخره، وذلك لأنّ القلوب بالضرورة تميل إليه وتحبّه، وذلك لأنّه إذا كان محسناً بينه وبين الناس عفّ عن أموالهم ودمائهم وأعراضهم، وترك الدخول فيما لا يعنيه، ولا شبهة أنّ من كان بهذه الصفة فإنّه يحسن ما بينه وبين الناس.

٣٣٥ـ مَنْ شَكَا ٱلْحَاجَةَ إلىٰ مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّما شَكَاهَا إلىٰ ٱللهِ، وَمَنْ شَكَاها إلىٰ كافر فَكَأَنَّما شَكَا ٱللهَ[2].

شكاية المؤمن إلىٰ المؤمن شكاية في موضعها. إذكانت ثمرة الشكاية المعاونة على دفع الأمر المشكوّ منه، والمؤمن شأنه ذلك، بخلاف الكافر. ورغّب في الأوّل بتشبيهها بالشكاية إلىٰ الله، ووجه الشبه أن المؤمن حبيب الله ومقرّب عند الله فكأنّ المشتكي إليه جعله وسيلة إلىٰ الله في شكواه فأشبه الشكوى إليه، بخلاف الشكاية إلىٰ الكافر فإنّه عدوّ الله؛ فمن شكا إليه أمراً فكأنّما شكا من الله إلىٰ عدوّه.

---

(١) الطلاق (٦٥) / ٢ و ٣.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٧.

٣٣٦ ـ مَا كَانَ ٱللهُ لِيَفْتَحَ عَلىٰ عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، وَلاَ لِيَفْتَحَ عَلىٰ عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلْإِجَابَةِ، وَلَا لِيفْتَحَ عَلَيْه[1] بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلْمَغْفِرَةِ[2].

فتح الله هذه الأبواب بقوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3] و ﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4].

٣٣٧ ـ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ!.[5]

قال ابن ميثم: «ما» هاهنا للتعجّب. وهذه الكلمة تجري مجرى المثل، يضرب لمن يعزم على أمر فيغفل عنه أو يتهاون فيه ويتراخى عن فعله حتّى ينتقض عزمه عنه. وأصله أنّ الإنسان قد ينوي السفر مثلاً أو الحركة بقطعة من الليل ليتوفّر في نهاره على سيره فيغلبه النوم إلىٰ الصباح، فيفوت وقت عزمه، فينتقض ما كان عزم عليه في يومه[6].

٣٣٨ ـ مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ٱرْتَطَمَ فِي الرِّبا[7].

ارتطم فلان في الوحل والأمر إذا ارتبك فيه ولم يقدر على الخروج منه، وإنّما قال ذلك لأنّ مسائل الربا مشتبهة بمسائل البيع، ولا يفرق

---

(١) في النهج: ولا ليفتح لعبد.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٥.

(٣) إبراهيم / ٧.

(٤) غافر / ٦٠.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٤٤٠.

(٦) شرح النهج لابن ميثم ٥ / ٤٥٤.

(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٤٤٧.

بينهما إلّا الفقيه الكامل.

٣٣٩ - مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ ٱلْمَصَائِبِ ٱبْتَلاَهُ ٱللهُ بِكِبارِها(١).

وإنّما لزمه ذلك لاستعداده بتضجّره وتسخّطه من قضاء الله لزيادة البلاء ولو قد حمد الله على بلائه لاستعدّ بذلك لدفعه.

٣٤٠ ـ مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ(٢).

قال الشاعر:

فـإنّك إنْ أَعطيتَ بطنك سؤلَه
وفَرْجَك نالا منتهى الذمِّ أجمعا(٣)

٣٤١ ـ مَا مَزَح ٱمْرُؤٌ مَزْحَةً إلّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً(٤).

استعار لفظ المج بما يطرحه الإنسان من عقله في مزحه أو مزحاته، فكأنّه قد مجّه كما يمجّ الماء من فيه.

وكان يقال: خير المزاح لا يُنال، وشرّه لا يستقال(٥).

وقيل: لكلّ شيء بذر وبذر العداوة المزاح(٦).

وقيل: سمّي المزاح مزاحاً لأنّه أزيح عن الحقّ(٧).

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٤٨.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٤٩. وفيه: شهواته.

(٣) ديوان حاتم الطائي، ص ١٧. وفيه: وإنّك مهما تعط...

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٠.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ١٠٠.

(٦) غرر الحكم ٥ / ٢٤، ح ٧٣١٦.

(٧) شرح النهج ٢٠ / ١٠٠.

٣٤٢ ـ مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّىٰ نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْؤُومُ عَبْدُ اللهِ[١].

عبدالله بن الزبير: أمّه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر. قيل: هو أوّل مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة، ففرحوا به فرحاً شديداً، وذلك لأنّه قيل لهم: إنّ اليهود سحرتكم فلا يولد لكم. وشهد مع أبيه وخالته الجمل، وكان شديد البأس، ومبارزته مع الأشتر، وقوله: «اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي» معروف. وكان أطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه كقيس بن سعد الأنصاري، وأحنف بن قيس، وشريح القاضي، ويقال لهم: السادات الطُلْس.

وكان بخيلاً، ضيّق العطن، سيّيء الخُلق، حسوداً كثير الخلاف، وأخرج محمد بن الحنفيّة من مكّة والمدينة، ونفى عبدالله بن عبّاس إلىٰ الطائف، والكلمات التي ردّت بينهما معروفة.

وكان عدوّاً لأمير المؤمنين عليه السلام وكانت عائشة تحبّه شديداً حتّى قيل: لم يكن أحد أحبّ إليها بعد أبي بكر من عبدالله بن الزبير.

وكان لَسِناً، وهو الذي قال في جواب فضالة بن شريك الوالبيّ حيث قال له: لعن الله ناقة حملتني إليك، قال: إنّ وراكبها[٢]. ومن اطّلع على هذه القضيّة يطّلع على شدّة بخله أيضاً.

وقد ذكر المسعوديّ وغيره أنّ عبدالله بن الزبير جمع بني هاشم كلّهم ومنهم محمّد بن الحنفيّة في سجن عارم، وأراد أن يحرقهم بالنار، فجعل في فم الشعب حطباً كثيراً إذ ورد أبو عبدالله الجدلي من جانب المختار في أربعة آلاف وقصد الشعب بإخراج الهاشميّين منه وهرب ابن الزبير فلاذ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٣.

(٢) «إنّ» ها هنا بمعنى نعم، كأنه إقرار بما قال. نقله أبو الفرج في الأغاني ١ / ١٥.

بأستار الكعبة[١].

قال ابن أبي الحديد: قال المسعوديّ: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبدالله في حصر بني‌هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول: إنّما أراد بذلك أن لا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطّاب ببني هاشم لمّا تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنّه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدّار[٢].

وروى أيضاً عن المسعوديّ عن سعيد بن جبير، أنّ ابن عبّاس دخل على ابن الزبير، فقال له ابن الزبير: إلامَ تؤنّبني وتعنّفني! قال ابن عبّاس: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:«بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره»! وأنت ذلك الرجل، فقال ابن الزبير: والله إنّي لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة. وتشاجرا، فخرج ابن عبّاس من مكّة، فأقام بالطائف حتّى مات[٣].

وبالجملة قتله الحجّاج الثقفيّ في أيّام عبد الملك بمكّة وصلب جسده، وبه أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه في قوله:«خبّ ضبّ، يروم أمراً ولا يدركه، ينصب حبالة الدين لا صطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش»[٤].

٣٤٣ـ مَالِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ! أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ. لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ١٤٧ نقلاً عن مروج الذهب ٣ / ٨٥

(٢) مروج الذهب ٣ / ٨٦

(٣) نفس المصدر ٣ / ٨٩

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧ / ٤٨.

حَتْفَهُ[١].

وقد أخذ الشاعر هذا الكلام في قوله:

ما بالُ مَن أوّله نطفة وجيفة آخره يفخَرُ

يصبح ما يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذَرُ

قال بعض الحكماء: الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان، وذلك نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله، وانحسر عنه قناع جهله، فأعراض الدّنيا عارية مستردّة، لا يؤمَن في كلّ ساعة أن ترتجع، والمباهي بها مباهٍ بما في غير ذاته[٢].

٣٤٤ ـ مَنْهُومانِ لاَيَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطالِبُ دُنْيا[٣].

نهم فلان بكذا فهو منهوم، أي مولع به، واقتبس عليه السلام هذه الكلمة من النّبيّ صلى الله عليه وآله: «منهومان لا يشبعان: منهوم بالمال، ومنهوم بالعلم»[٤].

٣٤٥ ـ مَا ٱلْمُجَاهِدُ في سَبِيلِ ٱللهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ، لَكَادَ ٱلْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ ٱلْمَلائِكَةِ[٥].

في حكمة سليمان بن داود: إنّ الغالب لهواه أشدّ من الّذي يفتح المدينة وحده[٦].

وقال سليمان بن داود: يا بني إسرائيل، أوصيكم بأمرين أفلح من

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٤ وفيه: ولا يرزق.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ١٥٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٧.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ١٧٤.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٤٧٤.

(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ٢٣٣.

فعلهما: لا تُدخلوا أجوافكم إلّا الطيّب، ولا تُخرجوا من أفواهكم إلّا الطيّب[١].

٣٤٦ ـ مَا أَخَذَ ٱللهُ عَلى أَهْلِ ٱلْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتّىٰ أَخَذَ عَلىٰ أَهْلِ ٱلْعِلمِ أَنْ يُعَلِّمُوا[٢].

لمّا كان التعلّم على الجاهل فريضة، ولا يمكن إلّا بمعلّم عالم، كان وجوب التعلّم على الجاهل مستلزماً لوجوب التعليم على العالم. روي: مَن علّم علماً وكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار[٣].

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٤١.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٧٨.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ٢٤٧.

حرف النون

٣٤٧ ـ نَفَسُ ٱلْمَرْءِ خُطَاهُ إِلىٰ أَجَلِهِ[١].

استعار للنفس لفظ الخُطا باعتبار أنّه على التعاقب والتقضّي؛ فهو مقرّب من الغاية الّتي هي الأجل كالخُطا المتعاقبة الموصلة للإنسان إلىٰ غايته من طريقه.

٣٤٨ ـ نَحْنُ النُّمْرُقَةُ ٱلْوُسْطَى الّتي يَلْحَقُ بِهَا التَّالِي وَإِلَيْها يَرْجِعُ ٱلْغَالِي[٢].

النمرق والنمرقة ـ بالضمّ فيهما ـ: وِسادة صغيرة، ويقال للطنفسه فوق الرحل نمرقة.

والمعنىٰ أنّ كلّ فضيلة فإنها مجنّحة بطرفين معدودين من الرذائل، والمراد أنّ آل محمّد (عليهم السلام) هم الأمر المتوسّط بين الطرفين

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٧٤.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٦. في النهج: نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي.

المذمومين، فكلّ من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم، وكلّ من قصّر عنهم فالواجب أن يلحق بهم.

٣٤٩ و ٣٥٠ ـ اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا[١].

والعلّة في أنّ الإنسان عدوّ ما يجهله أنّه يخاف من تقريعه بالنّقص وبعدم العلم بذلك الشيء، خصوصاً إذا ضمّه نادٍ أو جمعٌ من الناس فإنّه تتصاغر نفسه عنده إذا خاضوا فيما لا يعرفه، ويحقره في أعين الحاضرين وكلّ شيء آذاك ونال منك عدوّك.

وفي الديوان: «والجاهلون لأهل العلم أعداء»[٢].

٣٥١ ـ اَلنَّاسُ في الدُّنْيا عَامِلانِ: عَامِلٌ في الدُّنْيا[٣] **لِلدُّنْيا، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْياهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشىٰ عَلىٰ مَنْ يُخَلِّفُ**[٤] **اَلْفَقْرَ، وَيَأْمَنُهُ عَلىٰ نَفْسِهِ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ في مَنْفَعَةِ غيرِهِ.وَعَامِلٌ عَمِلَ في الدُّنْيا لِما بَعْدَها، فَجَاءَهُ الَّذي لَهُ مِنَ الدُّنْيا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ اَلْحَظَّيْنِ مَعاً، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وجِيهاً عِنْدَ اَللهِ؛ لا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ**[٥].

قوله عليه السلام:«ويأمنه على نفسه»، أي لا يبالي أن يكون هو فقيراً، لأنّه يعيش عيش الفقراء وإن كان ذا مالٍ، لكنّه يدّخر المال لولده فيفني عمره في منفعة غيره.

ويجوز أن يكون معناه أنّه لكثرة ماله قد أمن الفقر على نفسه مادام

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٧٢ و ٤٣٨.

(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام، ص ١٥.

(٣) في النهج: عامل عمل في الدنيا.

(٤) في النهج: يخلفه الفقر.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٩.

حيّاً، ولكنّه لا يأمن الفقر على ولده لأنّه لا يثق من ولده بحسن الاكتساب.

٣٥٢ ـ ٱلنَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيا، وَلا يُلامُ الرَّجُلُ عَلىٰ حُبِّ أُمِّهِ[١].

وقال عليه السلام في موضع آخر: «الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم»[٢].

٣٥٣ ـ نِعْمَ الطِّيبُ ٱلْمِسْكُ، خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ، عَطِرٌ رِيحُهُ[٣].

كان النبيّ صلى الله عليه وآله كثير التطيّب بالمسك وبغيره من أصناف المسك[٤].

وعن عائشة قالت: كأنّي أنظر إلىٰ وبيض المسك في مفارق رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مُحرِم[٥].

وجاء في الخبر عنه صلى الله عليه وآله: حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرّة عيني في الصلاة[٦].

وورد: خير طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وخير طيب النساء ما ظهر لونهُ وخفي ريحه[٧].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٢٠٩.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٧.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٣٤١.

(٥) شرح النهج لإبن أبي الحديد ١٩ / ٢٤٢.

(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٣٤١.

(٧) نفس المصدر.

حرف الواو

٣٥٤ ـ وَاعَجَبا! أتَكُونُ ٱلْخِلافَةُ بِالصَّحابَةِ وَٱلْقَرابَةِ[١].

قال الرضيّ ﷺ: وروي له شعر في هذا المعنىٰ:

فــإن كــنتَ بــالشورى مــلكت أمـورهم
فكـــيـــف بـــهــذا والمشــيرون غُــيَّبُ

وإن كــنتَ بــالقربىٰ حـججتَ خـصيمهم
فـــــغيرُك أولى بـــالنبيّ وأقـــربُ[٢]

قال ابن أبي الحديد: حديثه في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر، أمّا النثر فإلى عمر توجيهه، لأنّ أبابكر لمّا قال لعمر: أمدد يدك، قال له عمر: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها، شدّتها ورخائها، فامدد أنت يدك، فقال عليّ ﷺ: إذا احتججتَ لاستحقاقه الأمر بصحبته إيّاه في المواطن، فهلّا سلّمت الأمر إلىٰ من قد شركه في ذلك، وزاد عليه

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٩٠. وفيه و اعجباه.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٠٣.

«بالقرابة»! وأمّا النظم فموجّه إلىٰ أبي بكر؛ لأنّ أبا بكر حاجّ الأنصار في السقيفة، فقال: نحن عترة رسول الله وبيضته الّتي تفقّأتْ عنه، فلمّا بويع احتجّ على الناس بالبيعة، وأنّها صدرت عن أهل الحلّ والعقد، فقال عليّ عليه السلام: أمّا احتجاجك على الأنصار بأنّك من بيضة رسول الله ومن قومه، فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأمّا احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين، لم يحضروا العقد فكيف يثبت؟! انتهى[1].

ويمكن أن يكون توجّه كلامه إلىٰ عثمان، لما روي هذا القول عنه عليه السلام بعد بيعة عثمان. واختار ذلك ابن ميثم في الشرح[2].

٣٥٥ ـ وَٱللهِ لَدُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ[3].

العِراق: جمع عِرْق، وهو العظم عليه شيء من اللحم. وذلك نهاية حقارة الدّنيا وهوانها في عينه عليه السلام، لأنّ العرق لا خير فيه، فإذا تأكّد بكونه من خنزير ثمّ بكونه في يد مجذوم بلغت النفرة منه الغاية. ومن تأمّل سيرته في حالتي خلوّه من العمل وولايته الخلافة يعرف أنّ الدّنيا كانت في عينه بهذه المنزلة بل أهون. صلوات الله وسلامه عليه.

٣٥٦ ـ ٱلْوَفَاءُ لِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ، وَٱلْغَدْرُ بِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ ٱللهِ[4].

وذلك أنّ من عهد الله في دينه الغدر وعدم الوفاء لهم إذا غدروا، لقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٤١٦.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥ / ٣٤٢.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٣٦.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٩.

ٱلْخَائِنِينَ﴾[١].

قيل: نزلت في يهود بني قينقاع وكان بينهم وبين الرسول ﷺ عهد، فعزموا على نقضه، فأخبره الله تعالى بذلك، وأمره بحربهم ومجازاتهم بنقض عهدهم؛ فكان الوفاء لهم غدراً بعهد الله، والغدربهم إذا غدروا وفاء بعهد الله[٢].

٣٥٧ ـ ٱلْوِلاَيَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ[٣].

قال ابن ميثم: أراد بالمضامير مظانّ معرفة جودة الفرس [وردائته]، وهي الأمكنة التي يقرن فيها الخيل للسباق، واستعار عليه السلام لفظها للولايات باعتبار أنّها مظانّ ظهور جودة الوالي من خسّته وردائته، كما أنّ المضامير للخيل كذلك[٤].

---

(١) الأنفال (٨) / ٥٨.

(٢) شرح النهج لإبن ميثم ٥ / ٣٧٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٤٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥ / ٤٥٤.

حرف الهاء

٣٥٨ ـ هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ: مُحبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قالٍ[١].

لمّا كانت محبّة أولياء الله فضيلة نفسانيّة كان الطرفان منها رذيلتين يستلزمان هلاك صاحبهما في الآخرة.

قال رسول الله ﷺ: والله لولا أنّي أشفق أن تقول طوائف من أُمّتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بأحدٍ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة[٢].

ومع كونه ﷺ لم يقل فيه ذلك المقال فقد غلت فيه غلاة كثيرة العدد منتشرة في الدّنيا.

٣٥٩ ـ هَلَكَ ٱمْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ[٣].

لا ريب أنّ من لا يعرف منزلته ومحلّه يوشك أن يتجاوز عن مرتبته،

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١١٧.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ١ / ١١٧.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٩.

فيدركه هلاك الدّنيا، مثل أن يجلس من ليس له من العلم مثلاً مجلس العالم، فبذلك تلعّب ألسنة الناس وأيديهم به ويكون هلاكه بذلك، أو متصدّي لمنصب القضاء فيكون هلاك آخرته بذلك وهكذا.

حرف الياء

٣٦٠ ـ يَا ٱبْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَ أَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ[١].

هـذا الكـلام تـخويف وتـحذير، مـن الاسـتدراج، قـال اللـه تـعالىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢]. وذلك لأنّ العبد بـغروره يـعتقد أنّ موالاة النعم عليه وهو عاص من باب الرضا عنه، ولا يعلم انّـه اسـتدراج له ونقمة عليه. فينبغي له الحذر؛ فإنّ ترادف النـعم عـليه وهـو مـصرّ عـلى المعصية كالمنبّه له على وجوب الحذر.

مثال ذلك من هو في خدمة ملك، وهو عـون ذلك المـلك فـي دولتـه، ويعلم أنّ الملك قد عرف حاله، ثـمّ يـرى نـعم المـلك مـترادفـة إليـه، فـإنّه يجب بمقتضى الاحـتياط أن يشـتدّ حـذره، لأنّـه يـقول: ليست حـالي مـع

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥.

(٢) الأعراف(٧) / ١٨٢.

الملك حال من يستحقّ هذه النعم، وما هذه إلّا مكيدة وتحتها غائلة، فيجب عليه إذن أن يحذر.

٣٦١ ـ يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلىٰ قَدْرِ ٱلْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلىٰ فَخِذِهِ (فخذيه ـ خ.ل) عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ[1].

إنّ الله سبحانه جعل للإنسان قوّة استعداد لأنْ يصبر بمقدار مصيبته؛ فمن تمّ استعداده أُفيض عليه ذلك المقدار من الصبر، ومن قصر في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدّها وهو الجزع، حبط أجره وهو ثوابه على الصبر.

وكنّى عن الجزع بما يلزمه في العادة من ضرب اليدين على الفخذين.

وقيل: بل يحبط ثوابه السابق، لأنّ شدّة الجزع يستلزم كراهيّة قضاء الله وسخطه وعدم الإلتفات إلىٰ ما وعد به الصابرين، وهذا موجب لمحو الحسنات[2].

وقد ورد في فضيلة الصبر ما لا يخفى. وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول عند التعزية: عليكم بالصبر، فإنّ به يأخذ الحازم، ويعود إليه الجازع[3].

وقال أبو خِراش الهُذليّ يذكر أخاه عُروة:

تقول أراه بعد عُروة لاهياً ... وذلك رُزءٌ لو علمتِ جليلُ

فلا تحسبي أنيّ تناسيت عهده ... ولكنّ صبري يا أُميم جميلُ

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٤. وفيه: حبط عمله.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥ / ٣٢٠.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ / ٣٤٢.

٣٦٢ ـ يَا ٱبْنَ آدَمَ، مَاكَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ[١].

أخذ هذا المعنى بعضهم، فقال:

مـالي أراك الدهـر تـجمع دائـباً
ألبعل عرسك لا أباً لك تجمع![٢]

٣٦٣ ـ يَوْمُ ٱلْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى ٱلْمَظْلُومِ[٣].

المراد بيوم المـظلوم عـلى الظـالم يـوم القـيامة، وكـان أشـدّ، لأنّ ذلك اليوم يوم الجزاء الكلّيّ، والانتقام الأعظم، وقصارى أمـر الظـالم فـي الدّنـيا أن يقتل غيره فيميته ميتةً واحدةً، ثـمّ لا سـبيل له بـعد إمـاتته إلىٰ أن يُـدخل عليه ألماً آخر، وأمّا يوم الجزاء فإنّه يوم لا يموت الظالم فيه فـيستريح، بـل عذابه دائم متجدّد. نعوذ بالله من سُخْطه وعذابه!

وقرب منه قوله عليه‌السلام في موضع آخر:

٣٦٤ ـ يَوْمُ ٱلْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ ٱلْجَوْرِ عَلَى ٱلْمَظْلُومِ![٤].

٣٦٥ ـ يَا ٱبْنَ آدَمَ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، وَٱعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ[٥].

أي كما توصي من بـعدك أن يـوضع مـالك مـوضع القـربات وانـتفاع أهلك به فكن أنت ذلك الوصيّ، وضَعْه تلك المواضع في حياتك.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٩٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ١٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٢٤١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٤١.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٤. وفيه: كن وصيّ نفسك في مالك، و اعمل فيه...

٣٦٦ ـ يَا ٱبْنَ آدَمَ، لاَ تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلىٰ يَوْمِكَ الَّذي أَتَاكَ، فَإِنّهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ ٱللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ(١).

خلاصة هذا الكلام النهي عن الحرص على الدّنيا والاهتمام لها، وإعلام الناس أنّ الله قد قسم الرزق لكلّ حيّ مِن خلقه فلو لم يتكلّف الإنسان لأتاه رزقه من حيث لا يحتسب، وإذا نظر الإنسان إلىٰ الدودة المكنونة داخل الصخرة كيف تُرزق، علم أنّ صانع العالم قد تكفّل لكلّ ذي حياة بمادّة تقيم حياته إلىٰ انقضاء عمره.

وهذا مثل قوله عليه السلام لبعض أصحابه:

٣٦٧ ـ لاَ تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ فَإِنَّ ٱللهَ لاَ يُضِيعُ أَولِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ ٱللهِ، فَمَا هَمُّكَ وَشُغُلُكَ بِأَعْدَاءِ ٱللهِ؟!(٢)

ومثل قوله عليه السلام:

٣٦٨ ـ لَوْ سُدّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتٍ ،وَتُرِكَ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ؟ فقال عليه السلام: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ(٣).

٣٦٩ ـ يَنَامُ الرَّجُلُ عَلىٰ الثُّكْلِ، وَلاَ يَنَامُ عَلَى الْحَرَبِ(٤).

قال السيّد: ومعنى ذلك أنّه يصبر على قتل الأولاد، ولا يصبر على سلب الأموال(٥).

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٧. وفيه: على يومك الذي قد أتاك، فإنه إن يك...

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥٢.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥٦.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٣٠٧.

(٥) نهج البلاغة، ص ٥٢٩.

قال كمال الدين بن ميثم: الحَرَب: سلب الأموال. وإنّما كان كذلك، وإن كان المال والولد محبوبين، للطمع في استخلاص المال بالنهوض له والحرب عنه، دون الثكل[1].

٣٧٠ـ يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ، أَقْصِرُوا، فَإِنَّ ٱلْمُعَرِّجَ عَلى الدُّنْيَا لاَ يَرُوعُهُ إلّا صَرِيفُ أَنْيابِ ٱلْحِدْثَانِ. أَيُّها النَّاسُ، تَوَلَّوْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ تَأديبَها، وَٱعْدِلُوا بِها عَنْ ضِرايَةِ عَادَاتِها[2].

التعريج بالشيء: الإقامة والانعطاف عليه. والصريف: صوت الأسنان إمّا عند رِعدة أو عند شدّة الغضب والحنق، والحرص على الانتقام، أو نحو ذلك.

شبّه عليه السلام الحدثان وهو الموت بالبعير الهائج أو بالفهد إذا وثب والذئب إذا حمل. وذلك، لأنّ الفهد والذئب في هذه الحالات يصرف نابها، ويقولون لكلّ خطب وداهية: جاءت تصرف نابها.

وضرى ـ كرمى ـ أي جرى وسال. أي اعدلوا بها عن عاداتها الجارية، من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف[3].

٣٧١ ـ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ ٱلْقُرْآنِ إلّا رَسْمُهُ، وَمِنَ ٱلْإِسْلاَمِ إلّا ٱسْمُهُ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ ٱلْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ ٱلْهُدىٰ، سُكّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ ٱلْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي ٱلْخَطِيئَةُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيها، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْها إِلَيْها. يَقُولُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ: فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥ / ٣٩٧.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٥٩. وفيه: تولوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ / ٢٧٦.

عَلىٰ أُولَئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ ٱلْحَلِيمَ فِيها حَيْرانَ، وَقدْ فَعَلَ وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ ٱللهَ عَثْرَةَ ٱلْغَفْلَةِ[١].

هذه صفة حال أهل الضلال والفسق والرياء من هذه الأمّة، ولعلّ المراد بقوله: «فتنة»، أي استئصالاً وسيفاً حاصداً يترك الحليم أي العاقل اللبيب، «وروي: الحكيم»[٢] فيها حيران، لا يعلم كيف وجه خلاصه.

وقوله عليه السلام: «وقد فعل»، ينبغي أن يكون قد قال هذا الكلام في أيّام خلافته، لأنّها كانت أيّام السيف المسلّط على أهل الضلال من المسلمين. والله أعلم.

٣٧٢ ـ يَأْتِي عَلَى الناسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ ٱلْمُوسِرُ فِيهِ عَلى مَا فِي يَدَيْهِ، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلاَ تَنْسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُم﴾[٣]**، يَنْهَدُ فِيهِ ٱلْأَشْرَارُ، وَيُسْتَذَلُّ ٱلْأَخْيارُ، وَيُبَايِعُ ٱلْمُضْطَرُّونَ، وَقَدْ نَهىٰ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ بَيْعِ ٱلْمُضْطَرِّينَ**[٤].

«زمان عضوض»، أي كلبٌ على الناس، كأنّه يعضّهم، وفَعول للمبالغة. «يعضّ الموسر»، أي يبخل ويمسك. و«ينهد»: يرتفع ويعلو، أي ينهضون إلىٰ الولايات والرياسات، وترتفع أقدارهم في الدّنيا. «ويبايع المضطرّون»، أي يكون على وجه الاضطرار والإلجاء كمن بيع ضيعته، وهو ذليل ضعيف، من ربّ ضيعةٍ مجاورةٍ لها ذي ثروة وعزّ وجاه فيلجئه بمنعه الماء واستذلاله الأكرة والوكيل إلىٰ أن يبيعها عليه، وذلك

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٩ وفيه: تترك الحليم....

(٢) كما في شرح ابن ميثم ٥ / ٤٢٤.

(٣) البقرة (٢) / ٢٣٧.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٨. وفيه: تنهد فيه الاشرار وتستذلّ....

منهيّ عنه، لأنّه حرام محض[١].

٣٧٣ ـ يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُطْرٍ، وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ[٢].

قال السيّد: وهذا مثل قوله عليه السلام: يَهْلِكُ فِيَّ ٱثْنَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ[٣].

المحبّ المطري بكثرة المدح كالغلاة وهم في طرف الإفراط، والذي يبهته ويفتري عليه بأنّه ـ العياذ بالله ـ كافر ومخطئ كالخوارج وهم في طرف التفريط. وكلاهما رذيلتان خارجتان عن فضيلة العدل. والرذائل مهاوي الهلاك الأخرويّ.

وقد تقدّم قريب من هذا الكلام في باب الهاء[٤].

قد تمّ على يد جامعه عبّاس بن محمّد رضا القمّيّ عفي عنه في سنة ١٣٢٨ هـ

---

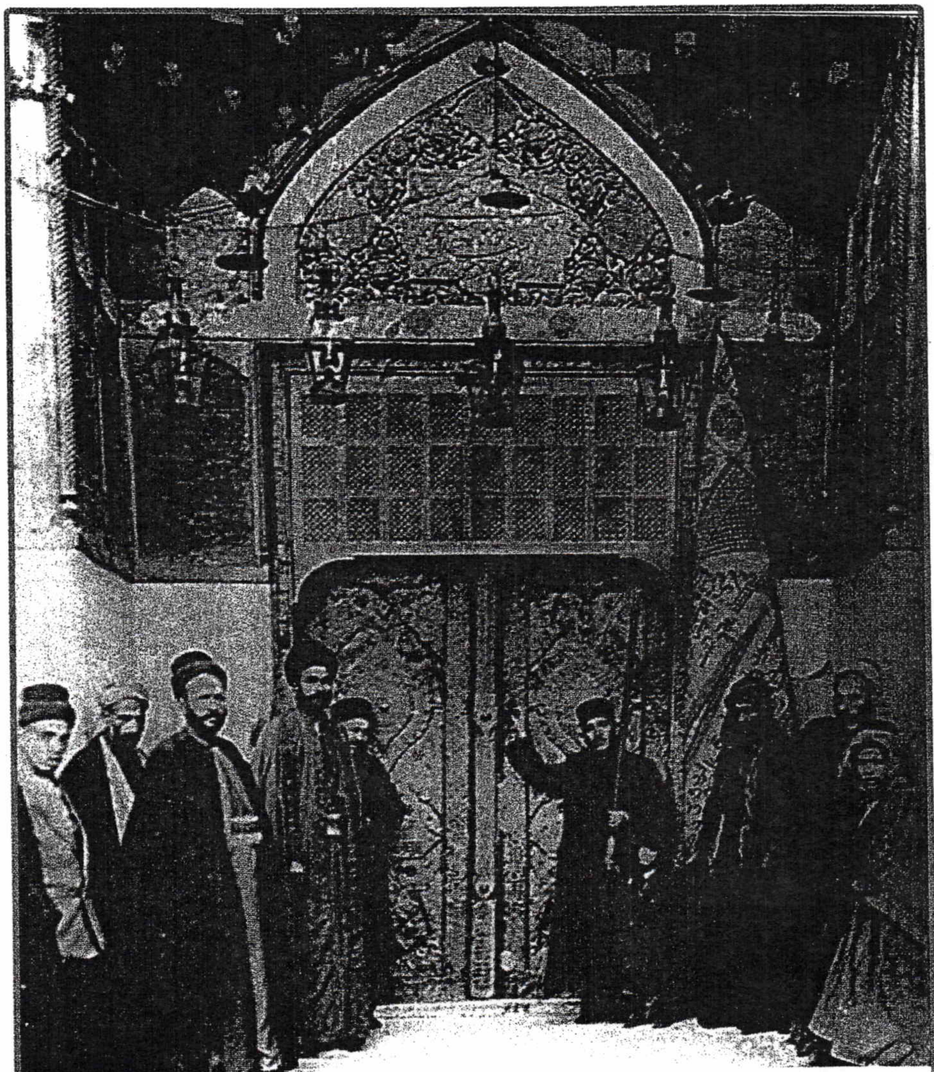
(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ٢١٨.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٩. وفيه: محبّ مفرط.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ٥٥٨.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١١٧.

الفهرس



○بوّابة حرم الامام علي عليه السلام في سنة ١٣٤٣ هـ ق.

❑ **The Gate of the Holy Shrine of Imam 'Ali in 1925.**